06

من الحرب إلى السلام: نظرية التغيير الثوري وممارسته

تقول القاعدة اللاتينية «إذا أردت السلام، فعليك الإعداد للحرب». في الأدبيات السياسية والتوجه العام، ومعظمها ذو منشأ أنجلو-ساكسوني، تُفسَّر هذه العبارة لتعني تحقيق السلام من خلال القوة العسكرية المفرطة[86]. في المدى البعيد، ينطوي هذا القول المأثور على الهزيمة الذاتية؛ ما إذا كانت الولايات المتحدة قد حققت السلام في العراق أو أفغانستان أو إيران من خلال قوتها المفرطة هو سؤال مفتوح، غير أن معظم الناس قد يقولون إنها لم تحقق ذلك. إسرائيل دولة قوية، ولكن فقط بالمفهوم العسكري.

بصرف النظر عن المظاهر، لا يستطيع الأقوياء أن يفعلوا ما يريدون، هنالك مقاومة من الأسفل؛ الشعوب في كل مكان تقوم بالابتكار وإيجاد طرق

جديدة لمواجهة العدوان والظلم وعدم المساواة، وإيجاد أطر بديلة لتنظيم الإنتاج والتبادل؛ هنالك عالم جديد يتشكل، على نحو مؤلم، ولكن مع وجود أمل بأن يكون سلميًّا.

الأسباب الأصلية للحروب التجارية

عند البحث عن أسباب شيء لا يوجد توافق عليه أوشيء غير سار، هناك نزعة بشرية طبيعية بإلقاء اللوم على بعض الناس، غير أنه من المهم التوضيح أنني عندما حلَّلت منظمة التجارة العالمية أو المنظمة العالمية للملكية الفكرية أو اتفاقيات الشراكة الاقتصادية، لم أكن منخرطًا في (لعبة اللوم)؛ من المهم في العلاقات الدولية أن يُفهم الفارق بين النزعة الشعبية ونزعة وسائل الإعلام لتوجيه اللائمة على شخص معين، ومحاولة فهم لماذا يقوم الأفراد أو البلدان أو المؤسسات بعمل ما يمارسونه؛ الفهم وتوجيه اللوم ليسا الشيء نفسه.

اللوم وتوجيه أصابع الاتهام هو أمر اتهامي؛ وفهم الأمور هو شيء فضولي، مقاربتي للتحليل هي فضولية –لماذا تحدث أشياء بعينها؟– وليست اتهامية.

هناك سوء فهم محتمل آخر أود توضيحه قبل أن أمضي قدمًا؛ لقد استخدمت تعبيرات؛ مثل: ازدواجية المعايير والنفاق في وصف عدم التوافق بين ما تدعيه البلدان الغربية (التجارة الحرة على سبيل المثال)، وما تفعله في واقع الأمر (الحماية)، مرة أخرى هذه ليست عبارات اتهامية، هناك حقائق وجودية يمكن إثباتها وراء مثل هذا التباين بين المبادئ والأفعال؛ يمكن للغرب أن يدعي (ربما بإخلاص) أنه يساعد على تطوير الجنوب، ولكن في حقيقة الأمر يعمل على إفقاره، هناك مدرسة قائمة بذاتها في الاقتصاد السياسي تحاجج بأنه في الوقت الذي يدعي فيه الغرب بأنه يطور الجنوب، فإنه في الحقيقة يعيق تطويره[87].

من الأهمية بمكان أن تُفهم ثلاث حقائق حول الحرب التجارية:

الأولى: الإمبريالية.

الثانية: حرب الموارد.

الثالثة: الفوضى العالمية؛ غياب بنية مناسبة للحاكمية العالمية.

تعريف الإمبريالية والاعتراف بحقيقتها

يتعيَّن علينا أولًا أن نتوصل إلى اتفاق حول مفهوم الإمبريالية وحقيقتها؛ إذا لم يفهم المرء الإمبريالية، فإنه لم يفهم شيئًا عن العلاقة بين الشمال والجنوب، أو بين الغرب وبقية العالم.

إنكار الغرب لحقيقة الإمبريالية

يكمن تناقض في أن الناس في الغرب، بمن فيهم المنظمات غير الحكومية، لديهم حسن نية، والناس المتعاطفون مع إفريقيا، يجدون صعوبة في الاعتراف بحقيقة الإمبريالية، يوجد العديد من الأشخاص في حالة من الإنكار بشأن الاستعمار، لقد سعيت لإيجاد تفسير في الثقافة والتاريخ الغربيين من أجل توضيح هذه العقبة، ولكنني لم أعثر على جواب جيد؛ على سبيل المثال، كنت أستغرب لماذا وُصف هتلر في الأدبيات الغربية جميعها تقريبًا على أنه (فاشي)، ولكنه لم يوصف بتاتًا بأنه إمبريالي؛ هل هناك احتمال بأن وصف هتلر بأنه إمبريالي قد يعني الاقتراب على نحو خطر من النظر في صورة تنعكس من مرآة؟ في هذه الأيام، ينكر العديد من الغربيين، بمن فيهم المفكرون، وجود الإمبريالية.

وحيث إنَّ هذا الموضوع يشكل مسألة مهمة بالنسبة إلى هذا الفصل، وفعليًّا بالنسبة إلى هذا الكتاب، أريد أن أعطي مثالين من تجربتي؛ في شهر نوفمبر عام 1995م، وفي ماستريخت في هولندا، اشتركت في نقاش عام مع هيرمان كوهين، وهو وكيل سابق لوزارة الخارجية الأمريكية للشؤون

الإفريقية، الذي كان يشغل حينئذٍ منصب المدير التنفيذي للتحالف العالمي من أجل إفريقيا (GCA)[88]، كان النقاش يدور حول الديموقراطية والحكم في إفريقيا، وعندما استخدمت كلمة الإمبريالية في وصف الوضع في إفريقيا، اعترض كوهين قائلًا: «إنني مخطئ تاريخيًّا»، وأن الإمبريالية ببساطة «لا تعيش إلا في ذهن تاندون». لم أشأ الرد عليه؛ غير أن الأفارقة الموجودين ضمن الحضور سردوا له أمثلة ملموسة عدة للإمبريالية؛ كان من بين الحضور أميناتا تراوري التي كانت ذات يوم وزيرة للثقافة والسياحة في مالي، أبلغت كوهين بأنها قد أصيبت بخيبة أمل عندما وجدت مسؤولًا كبيرًا في التحالف العالمي من أجل إفريقيا ليس لديه فهم للإمبريالية أو لواقع إفريقيا.

في حادثة أخرى في فبراير عام 1997م، حضرت مؤتمرًا في أوسلو حول جدول الأعمال 21؛ أي التنمية المستدامة، تقاسمت المنصة مع شخصية مؤثرة هي لويد تمبرليك مستشار لجنة برونتلاند[89]. كان أيضًا في ذلك الوقت يشغل منصب مدير مجلس الأعمال العالمي للتنمية المستدامة؛ لقد ألَّف كتابًا متَّزنًا تدعمه التجربة عن حالة البيئة الإفريقية. اعترض على وصفي الوضع الحقيقي في إفريقيا، وأنه تهيمن عليه الإمبريالية، بالقول: «إنني عفى عليَّ الزمن»، وأنه لم يسمع بكلمة الإمبريالية خلال السنوات الثلاثين الأخيرة. دهشت في البداية، لكنني أدركت بأن الحضور –ومعظمهم نرويجيون– ربما كانوا يتفقون معه، كان لزامًا علي أن أخطو بحذر حتى لا أنفِّر أصدقائي في الحضور؛ ولهذا ومن دون تحدي تمبرليك مباشرة، قلت –مستخدمًا اصطلاحًا استعرته من أصدقائي المناصرين لحماية البيئة– لأن بريطانيا تستطيع استخدام موارد أوغندا، فإن (طبعة قدمها البيئية)

أكبر بكثير من طبعة قدم أوغندا. أشكُّ في أنه فهم مقصدي، إذ إنَّه كان يحدق بي بذهول؛ لم يفهم بأنه في الوقت الذي حصلت فيه أوغندا على الاستقلال، فإن إنجلترا، بوصفها بلدًا استعماريًّا، استمرت في استغلال موارد أوغندا واستهلاكها؛ ولذلك فقد أصبحت تمتلك طبعة قدم أكبر. كنت أتساءل عن الكيفية التي يمكن بها تعليم شخص يعاني حالة إنكار بخصوص البيئة السياسية العالمية؛ لماذا يجب أن تشكل بيئة تمبرليك الطبيعية أمرًا حقيقيًّا بالنسبة إليه، ولا ينطبق ذلك على البيئة السياسية الإمبريالية؟ كيف يستطيع الفصل بينهما؟ نظرت حولي من دون أن أتوقع دعمًا من الحضور النرويجي، غير أنه كان هناك استثناء واحد؛ سيدة شابة تدعى هيلين بانك، أبلغتني في أثناء استراحة لاحتساء القهوة بأنها تتفق معي، ثم انضمَّت إلي لاحقًا في إنشاء معهد سيتيني.

تعريف الإمبريالية

الإمبريالية هي شكل معين من العلاقة التي نشأت في أعقاب الحقبة الاستعمارية، قد لا يمكن اختزالها إلى مجرد أي نوع من علاقة القوة غير المتكافئة، هل يمكن أيضًا وصف العلاقات بين الولايات المتحدة وأوروبا- على سبيل المثال- بأنها علاقات إمبريالية؟ كلا. ولم لا؟ لأنه بالرغم من أنهما غير متساويتين في القوة، فإن كليهما على المستوى العالمي قوة مستعمرة؛ هما شريكتان ومتنافستان في الوقت نفسه؛ على سبيل المثال، تتنافس الشركات الأمريكية والأوروبية في سوق الاتصالات، ولكن إذا خرجت زيمبابوي أو إيران أو كوبا (أو سوريا أو الصومال أو فنزويلا) عن عصا الطاعة، فإن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي تتضامنان لحفظ

النظـام؛ تقطعـان الغـاز والمـاء عنها– إذا جـاز التعبير– لتعيداهـا إلى بيت الطاعة. كلا، لا تمثل الإمبريالية أي علاقة بين قوتين غير متسـاويتين؛ إنها ظاهـرة صنعهـا التاريـخ؛ لا تسـتطيع بحثها نظريًّـا. في واقع الأمر، تتنافـس الدول الإمبريالية وتتعاون؛ للحفاظ على نظام إنتاج واسـتهلاك يعتمد على استغلال الموارد الغنية –بما في ذلك العمل– الموجودة في الجنوب.

إن تعريـف لينـين للإمبرياليـة على أنها «أعلـى مرحلة من الرأسـمالية» هـو توسـيع تحليلـي جيـد للنظريـة الماركسـية الخاصـة بالرأسـمالية حتـى الثمانينيات من القرن التاسـع عشـر وبعد ذلك[90]. ربما يود طلبة العلاقات الدولية، خاصة من بلدان الجنوب، قراءة كتاب لينين عن الإمبريالية. أورد تاليًا خصائص الإمبريالية الرئيسة كما يعرفها لينين:

1. تمركز الإنتاج والاحتكارات.
2. الدور الجديد للمصارف.
3. بزوغ نجم رؤوس الأموال وحكومة الأقلية المالية.
4. تصدير رأس المال.
5. تقسيم العالم بين الجمعيات الرأسمالية.
6. تقسيم العالم بين القوى الكبرى.
7. الإمبريالية بوصفها مرحلة خاصة من الرأسمالية.
8. تطفل الرأسمالية واضمحلالها.

بعض كتاب التيار الماركسي لايزالون يطبقون تحليل لينين الرئيس على الوضع المعاصر[91]. كما يتبين الكثيرون أنه ليس ظاهرة عابرة؛ إنه جزء من حقيقة واقعنا.

بعد خمسين سنة من نشر كتاب لينين، ألَّف كوامي نكروما؛ أول رئيس لغانا، كتابًا (إبان رئاسته) بعنوان الاستعمار الجديد: آخر مرحلة من الإمبريالية .Neo–Colonialism: The Last Stage of Imperialism كتب في مقدمة الكتاب يقول: «إن الاستعمار الجديد في هذه الأيام يمثل الإمبريالية في آخر مراحلها أو ربما أخطرها...جوهر الاستعمار الجديد يتمثل في أن الدولة الخاضعة له هي مستقلة نظريًّا، وتتمتع بجميع الزخارف الخارجية للسيادة الدولية، ولكن في الواقع، يوجَّه نظامها الاقتصادي وسياستها من الخارج»[92].

بعد خمسين سنة من نشر كتاب نكروما، فإن الاستعمار الجديد –كما عرفه نكروما– لا يزال ماثلًا بيننا، وإذا كان هناك من تطور على هذا التعريف، فإن الإمبريالية أصبحت أكثر عدوانية، لماذا؟ لأنها تواجه الآن تحديًا كبيرًا من الأجيال الشابة في دول العالم الثالث، وحتى من الناشطين الاجتماعيين في الغرب.

هل تضم مجموعة البريكس دولًا إمبريالية؟

هنالك وجهة نظر مفادها أن الإمبريالية ليست مجرد ظاهرة غربية، وأن دول البريكس –البرازيل، روسيا، الهند، الصين، جنوب إفريقيا– هي أيضًا دول إمبريالية أو على الأقل شبه إمبريالية، وهم يطرحون السؤال:

ألا تستغل هذه البلدان العمالة الرخيصة والموارد في إفريقيا؟. ألا تُخرج الصناعيين الإفريقيين من السوق عن طريق استيراد البضاعة الرخيصة إلى إفريقيا؟ لقد سألت نفسي هذه الأسئلة مرات عدة[93]. جوابي عن هذه الأسئلة له علاقة بالتعريف الآنف للإمبريالية بوصفها ظاهرة تاريخية تطورت في أثناء صعود الرأسمالية ومنتجها المصاحب؛ الاستعمار[94].

كانت الصين والهند تتاجران مع إفريقيا لألف سنة خلت، ولكنهما لم تستعمرا إفريقيا بتاتا[95]. لا أعرف ما قد يحدث في المستقبل؛ كلاهما الآن بلد رأسمالي ومن الممكن أن تُطوِّرا صورًا جديدة من الإمبريالية مع إفريقيا، هناك من دون شك علاقات قوة غير متكافئة بين الصين والبلدان الإفريقية كما توجد علاقات قوة غير متكافئة بين الولايات المتحدة وأوروبا، ولكن من حيث علاقتهما، فإن الولايات المتحدة لا تمتلك علاقات إمبريالية مع المملكة المتحدة على سبيل المثال، وفي السياق نفسه، فإن العلاقات الصينية مع إفريقيا ليست إمبريالية أو شبه إمبريالية[96].

اعتمادًا على خبرتي في العمل مع العديد من وكالات الحاكمية العالمية– مثل الأمم المتحدة، ومنظمة التجارة العالمية، والمنظمة العالمية للملكية الفكرية، وغيرها –هناك العديد من البراهين على أن الصين والهند (وروسيا أيضًا) كانت تتصرف على قاعدة التضامن مع البلدان الإفريقية، وفي سياقاتها الخاصة بها، تُعدُّ الصين والهند وروسيا بلدانًا تعديلية (بحسب الوصف الوارد في فصل سابق)؛ إذ إنَّها، مثل إفريقيا، تريد تغيير النظام العالمي، وبهذا المعنى، هي تقف بالجانب نفسه من خط التقسيم بين الغرب وبقية العالم، زد على ذلك أنه لا يستطيع أي مقدار من الالهاء –الذي يأتي غالبًا من أقصى اليسار وأقصى اليمين– أن يخفي القضية

الإستراتيجية في بناء التحالفات والتضامن بين بلدان بريكس وإفريقيا ودول العالم الثالث الأخرى.

حرب الموارد

الناحية الثانية المهمة للحقيقة المعاصرة هي حرب الموارد، سأورد عرضين مختصرين لحالتين من هذه الحالات من إفريقيا.

نيجيريا

كان تهريب منتجات النفط المكررة يجري في نيجيريا، عبر حدود إفريقيا الغربية القابلة للاختراق لعقود عدة خلت[97]، كان هذا التدفق الموازي يمكن المجتمعات التي تعتمد على النفط من تنظيم حياتها ومعيشتها اللتين تتعرضان للخطر خارج القطاع الرسمي، وفي الوقت نفسه، كانت الشركات متعددة الجنسيات (وفي مقدمتها شل) تبيع النفط في السوق العالمية لعقود عدة، وتقدِّم فواتير بأقل من قيمة البيع، كانت تضع الدولة النيجيرية تحت نفوذها، حيث تتقاسم النخبة الحاكمة الأرباح المتأتية من النفط الذي يُسعَّر بمستوى أقل من سعر السوق وبموافقة رسمية [98]، وفي عام 1995م، أعدم النظام العسكري كين سارو –ويوا– وهو كاتب ومنتج تلفازي، وحائز على جائزة منظمة العيش الكريم، ورئيس حركة المحافظة على بقاء شعب أوجوني؛ جريمته كانت ممارسة كفاح من دون عنف احتجاجًا على تردي البيئة في أراضي ومياه أوجونيلاند؛ بسبب صناعة النفط التي تستفيد منها

الشركات العالمية بالإضافة إلى ألفين من النخب النيجيرية على حساب الملايين من الناس.

هذا يعبر عن القصة المعقدة لحرب النفط في إفريقيا؛ عرضت الجزيرة في عام 2013م، سلسلة وثائقية من أربع أجزاء؛ أسرار الأخوات السبع، تظهر الكيفية التي تهيمن بها الشركات الغربية على التكتلات النفطية، وتشكل تحالفات سرية من أجل السيطرة على السوق النفطية العالمية.

الصومال

تشكل الصومال واقعًا حتى أكثر تعقيدًا من الوضع في نيجيريا، سأقدِّم عرضًا أطول عن هذا الوضع؛ لأنه لا يفهم جيدًا.

إنَّ الحكاية السائدة التي تصف الصومال بأنه دولة فاشلة غير مقنعة؛ حيث إنَّها تترك مجالًا لطرح بعض الأسئلة المشروعة التي لم يُجب عنها في هذا السرد، لقد استخفت الصومال بالعالم كله عندما استضافت حركة الشباب والقراصنة الذين ألحقوا الرعب بالمنخرطين في صيد السمك في البحار لسنوات عدة، والسؤال المشروع والمهم الذي ينبغي طرحه هو: هل للقرصنة الصومالية أي علاقة بعمليات صيد السمك غير المشروعة التي تقوم بها الأساطيل الأوروبية والأمريكية واليابانية؟ وهل لها أي علاقة بالطرح غير المشروع للفضلات السامة (بما فيها النووية) وتدمير موارد الساحل الصومالي وأرزاق الناس؟ إذا كان الأمر كذلك، أليس قراصنة السمك جديرين باللوم مثل قراصنة السفن؟ «أنتم تنهبون سمكنا، ونحن ننهب سفنكم».

إذا كان هنالك تفهم مناسب لهذا، فإن أسئلة أخرى تطرح نفسها، مثل: هل توجد علاقة بين النهب الذي يقوم به قراصنة السمك وحرمان الناس أقواتهم بظهور حركة الشباب؟ وهنالك أيضًا بعض الأسئلة حول الحرب والسلام الإقليميين: هل هناك أي علاقة بين فرض النظام من الخارج في صورة قوات إثيوبية وكينية وأوغندية، والتخلص بالقوة من اتحاد المحاكم الإسلامية الذي جلب شيئًا من السلام إلى الصومال بين عامي 2011 و2012م، وبين استمرار العنف في المنطقة كلها؟ إذا كان الأمر كذلك، ألا يوجه اللوم إلى البلدان المجاورة للصومال كما يوجه إلى أمراء الحرب المتناحرين في الصومال؟ هل البلدان المجاورة تنخرط في حرب بالوكالة– على سبيل المثال– عن الولايات المتحدة في الحرب ضد الارهاب؟ إذا كان الأمر كذلك، ألا تستحق حكومات إفريقيا الشرقية اللوم لوضع شعوبها المدنية البريئة تحت رحمة العنف؟

أعترف بأن هذه أسئلة صعبة، أطرحها ليس من قبيل الخطابة، ولكن لإثارة قضايا يدور حولها نقاش قليل جدًّا خارج الاتحاد الإفريقي. ربما يسهم إجراء أي تحقيق حول الحديث الذي يدور بشأن جوبالاند، بونتلاند، صوماليلاند في إلقاء مزيد من الضوء على بعض هذه الأسئلة، وفي نطاق الاتحاد الأوروبي، توجد أيضًا حاجة إلى بحث المسألة الصومالية من خلال السياق الجيوسياسي والاقتصادي الأوسع.

في نهاية عام 2012م، أصبح حسن شيخ محمد، وهو أكاديمي سابق، رئيسًا للصومال، أشاد الغرب بانتخابه: أعادت الولايات المتحدة العلاقات الدبلوماسية مع الصومال بعد عشرين سنة من الخروج منها؛ فرفعت الحظر الذي بموجبه أوقفت البلدان الغربية تصدير السلاح إلى

الصومال، وفي يونيو عام 2013م، انضمت الصومال إلى اتفاقية كوتونو (حتى ذلك التاريخ لم تكن عضوًا في مجموعة بلدان إفريقيا والكاريبي والباسيفيكي)[99]. قال الرئيس محمد في ذلك الوقت إن مثل هذا الأمر سيسهل عملية إعادة البناء الوطنية، حيث ستكون الصومال مؤهلة لتلقي العون الإنمائي من الاتحاد الأوروبي[100].

لم تكن الثروة السمكية المورد الصومالي الوحيد الذي كانت تطمع فيه الشركات العالمية؛ الصومال تمتلك النفط أيضًا، من الواضح أن الرئيس محمد كان يستخدم النفط طعمًا لجذب الاستثمارات الأجنبية في ميداني الثروة السمكية والنفط، في شهر أبريل عام 2014م، وقعت الصومال اتفاقية شراكة لاستغلال الثروة السمكية مع الاتحاد الأوروبي، كان النفط أيضًا موردًا ترغب في الحصول عليه دول منافسة عديدة، بمن فيهم المملكة المتحدة، وفرنسا، والنرويج، وقطر، وتركيا. بعد انتخاب محمد بقليل، استضاف رئيس وزراء بريطانيا ديفيد كاميرون مؤتمرًا حول الصومال.، قال كاميرون: «نحن نساعد على تحسين الشفافية والمساءلة عن طريق تأسيس مجلس مشترك للإدارة المالية، الذي من خلاله سيعمل المانحون مع الحكومة الصومالية لضمان استخدام الإيرادات المتأتية من الموجودات الرئيسة والعون الدولي من أجل خير الشعب الصومالي»[101]. عيَّن الجانب البريطاني اللورد مايكل هوارد، الزعيم السابق لحزب المحافظين، كبيرًا لمفاوضيه، وعُيِّن أيضًا رئيسًا غير تنفيذي لشركة صوما للتنقيب عن النفط والغاز المحدودة، وهي الشركة التي تركز على استخراج النفط والغاز من الأراضي الصومالية، وفي يونيو عام 2014م، وبموجب اتفاقية استثمارية، تفاصيلها لاتزال غير واضحة، أعلنت صوما أنها توصلت إلى

اتفاقية مع الصومال لإجراء مسح زلزالي داخل مياه البحر: بمساحة قرابة (122,000) كيلومتر مربع من السواحل الصومالية[102].

أستخدم النفط هنا بوصفه مثالًا. تُخاض حروب الموارد هذه في أنحاء إفريقيا جميعها، ليس فقط بالنسبة إلى النفط، ولكن بالنسبة إلى الكثير من المصادر الطبيعية: الألماس، الذهب، الحديد، الكوبلت، اليورانيوم، النحاس، البوكسيت، الفضة، القهوة، الكاكاو، الخشب؛ على سبيل المثال الحرب الأهلية في جمهورية الكونغو الديموقراطية كانت لها علاقة ليس فقط بتهريب الذهب إلى أوغندا ورواندا، ولكن أيضًا، وبصورة أساسية، بالمصادر المعدنية الغنية في جمهورية الكونغو الديموقراطية، التي تشكل مكونات حيوية للصناعات الإلكترونية والعسكرية الغربية.

الفوضى العالمية: غياب بنية مركزية للحاكمية العالمية

تتسم منافسة الشركات العالمية بأنها تآمرية وفوضوية على حد سواء، أشرت آنفًا إلى مسلسل الجزيرة الوثائقي سرِّ الأخوات السبع الذي يوضح الكيفية التي تمكن من خلالها التكتل النفطي الغربي، المؤلف من سبع شركات نفط رئيسة من التوصل إلى اتفاق سري للسيطرة على نفط العالم. هذا تصرف تآمري؛ يوجد هنا غياب واضح لأي بنية مناسبة للحاكمية العالمية تستطيع أن تنظم هذه الشركات العالمية.

زد على ذلك أن النظام المالي العالمي يتسم أيضًا بالفوضوية؛ أي مرجعية أفضل من هانك بولسون –الذي أنهى خدمته الطويلة بصفته وزير خزانة أمريكي إبَّان الأزمة المالية– تستطيع عرض هذه النقطة؟ في مقابلة مع الصحيفة الألمانية هانديلسبلات في 13 سبتمبر عام 2013م، حذر بولسون من أزمة مالية أخرى، يمكن أن يتسبب بها واحد أو أكثر من العوامل الآتية[103]:

- المصارف التي تتوسع كثيرًا يكون إخفاقها كارثي على الاقتصاد: بحلول عام 2013م، كانت أكبر خمسة مصارف أمريكية تمتلك موجودات تصل إلى (8,3) تريليون دولار؛ أي ما يزيد بمقدار (2,5) تريليون دولار عما كان علية الأمر في عام 2007م.
- السوق المتضخمة للمشتقات المالية التي نمت من (586) تريليون دولار في عام 2007م، إلى قرابة (633) تريليون دولار في عام 2013م، وكانت إلى حد كبير غير منظمة.
- مصارف الظل: التي تمتلك موجودات بقرابة (67) تريليون دولار (تنمو سريعًا)، تضم قطاعًا مصرفيًّا غير منظم، وحتى إنَّه لا يخضع للمتطلبات التنظيمية لرأس المال.

يتعيَّن علي أن أضيف أن هناك بعض المجالات التي تعمل فيها هيئات الحاكمية العالمية بصورة جيدة، غير أن هذه الأجهزة يغلب عليها الطابع الوظيفي –الفني، إن شئت –مثل اتحاد الاتصالات العالمي ومنظمة الأرصاد الجوية العالمية، ولكن عندما يتعلق الأمر بمنظمات تتصل بالتجارة مثل منظمة التجارة العالمية، فإن السياسة هي التي تتحكم في الأمور؛ يُملي الأقوياء الكيفية التي تصنع فيها الأحكام وتفسر وتطبق. من ناحية أخرى–

وهـذه هي النـاحيـة الفوضوية من النظام– توجد مجموعة كبيرة من قضايا الحاكميـة العالميـة يُتخلَّـى عنهـا للشـركات التـي ينقصهـا التنظيـم وتتميز بالتآمر، وهما ناحيتان من عالم الشركات يُغلَّفان بالكبسولة السامة نفسها.

وبقـدر مـا يتعلـق الأمر بالسـلع، فلا يوجـد في حقيقة الأمر مـا ينظمها؛ ينبغـي إدراك أن المضاربـين الذيـن يتعاملـون بالأسـواق المسـتقبلية للسـلع ليس لديهـم أي اهتمـام في وجـود نظـام مراقبـة، وفي الحقيقـة ونظـرًا إلى طبيعة المضاربة في سـوق السـلع، حتى القواعد الموجودة في الكتب الدراسـية والخاصـة بقوانـين العرض والطلب لا تُطبَّـق؛ لا يريد المضاربون عَدَّ السـلع بصفتهـا فئـة أصـول لها علاقـة بالأصول الأخرى، مثل الأسـهم والسـندات والعقـارات أو العمـلات الأجنبية؛ لأن الهدف الرئيس مـن (التحوُّط) يقوم علـى اللعـب بمجموعة من الاحتمـالات في مقابل مجموعة أخـرى، وحيث إنَّ المضاربين غير مهتمين بالتسـلم المادي للسلع، فينبغي عليهم بيع العقود قبل نهاية مدتها –البيع العاجل– حتى يكون هناك متسـع لشـراء عقود جديدة؛ إنَّه– في الحقيقة– نظام حرب فوضوي في التجارة.

في هـذ النظـام، تخضـع القاعدتـان القويـة والضعيفـة وتُعاقبـان، كمـا شاهدنا في الفصل السابق؛

ولذلـك، كيـف نسـتطيع من خلال هـذا النظـام الفوضـوي العالمي الذي تحكمه القوة التحرُّك من الحرب إلى السلام؟

العالم على حافة نقلة حضارية

هذا موضوع ضخم ومعقد بالنسبة إلى كتاب صغير، غير أنني أحتاج إلى الخوض فيه؛ لأنني أعتقد أن الحرب التجارية تمثل أحد أبعاد العالم الذي يتجه إلى نقلة حضارية لا تُدرَك ملامحها بوضوح حتى الآن، في مواجهة ما أطلق عليه فرنسيس فاكوياما «نهاية التاريخ»، وما أسماه هنتنجتون «صدام الحضارات»، أفضل أن أتحدث عن النقلة الحضارية[104].

نظريتي بسيطة جدًّا؛ النقلة الحضارية المعاصرة تقوم على ثلاثة افتراضات:

أولًا: لا توجد حضارة محددة تستمر إلى الأبد[105]. وخلافًا لما يعتقده أكثر الناس (أو يؤمنون به)، إن ما يسمى بالحضارة الغربية أو الرأسمالية ليست أبدية. أنا أشاطر مشاعر أولئك الذين يحاججون بأن الاستغلال المفرط للعمل والطبيعة الإنسانيين سينتهي في نهاية المطاف، من الممكن أن يستغرق ذلك قرنًا آخر، لكن ذلك في حقيقة الأمر لا يشكل وقتًا طويلًا ينبغي انتظاره؛ الحضارات التي سبقت الرأسمالية (مثل الحضارة الأزتيكية والمصرية والصينية والهندية والفارسية) دامت أكثر من ذلك بكثير؛ تشكل الثورات جزءًا من حركة التاريخ.

ثانيًا: قد يحاجج شخص بأن الرأسمالية لم تصل إلى نهايتها؛ «لأن هذه النهاية لم تحن بعد»؛ اعتقد كارل ماركس أن طبقة العمال في العالم ستكون الخصم اللدود للرأسمالية، من الممكن أن هذا لايزال قائمًا؛ لا نستطيع معرفة ذلك، وفي هذه الأثناء، تواجه النسخة الغربية من الرأسمالية (حيث تشكل الملكية الخاصة والسوق الحرة مبرر وجودها) خصومًا عديدين، بمن

فيهم- على وجه الخصوص- الشعوب والحضارات المضطهدة في العالم؛ لنتذكر جملة ماركس الشهيرة في البيان الشيوعي: «شبح يطارد أوروبا؛ إنَّه شبح الشيوعية، لقد دخلت قوى أوروبا القديمة جميعها في حلف مقدس لطرد هذا الشبح».

ثالثًا: لقد مات البيان الشيوعي؛ إنَّه الآن شبح الشعوب المضطهدة في العالم (خاصة النزعة الوطنية في بلدان الجنوب) هو الذي يطارد أوروبا. من المؤكد أن القوى جميعها في أوروبا القديمة -بقيادة الولايات المتحدة- قد دخلت في حلف غير مقدس من أجل طرد هذا الشبح؛ إنَّه البيان الجديد لهذا العصر: بيان الأمم المضطهدة والشعوب المستغلة في العالم. هنالك بيانان رئيسان لهذا الشبح: التحرر الوطني والنهضة الإسلامية.

حركات التحرر الوطني

إنه لمحاكاة ساخرة وغريبة في التاريخ وعلم الاجتماع أن نجد شرح مفهوم الوطنية أسهل من شرح مفوم الأمة، لن أذهب بعيدًا في القضية التعريفية؛ بعض الناس يعرِّفون الأمة على أنها ضرب من الهوية الثقافية؛ ولكن لماذا يسعى الأمريكان (المنحدرون بصورة أساسية من أصول إنجليزية وإيرلندية) لتحقيق التحرر الوطني من بريطانيا؟ هل الولايات المتحدة تشكل أمة؟ ولكن، أين تضع أمة الإسلام في داخل الولايات المتحدة؟ هل شعب تانزانيا يشكل أمة؟ وهل يشكل شعب زنجبار أمة قائمة بحد ذاتها؟

الأمة هي تجريد نظري يعبر عن طاقتها الحيوية تعبير الوطنية أو التحرر الوطني، حيث يمثل التحرر الكلمة الرئيسة؛ يسعى الشعب لتحقيق التحرر؛

التحرر من الاضطهاد والاستغلال. يهدف الشعب إلى تحقيق تقرير مصير الذات، حيث تُعرَّف الذات ويُعاد تعريفها في سياق النضال من أجل التحرر، يشكل التحرر الموضوع الرئيس؛ إن هوية الذات هي التي تتغير. لقد ولدت أوغنديًّا (من أصول هندية)، غير أنني أتطور تدريجيًّا لأصبح إفريقيًّا شرقيًّا. إن دول (وليس أمم) شرق إفريقيا الخمس –بوروندي، رواندا، تانزانيا، كينيا، أوغندا– أُسِّست من قبل المستعمرين قبل قرابة مئة سنة. في الفصل المتعلق بحرب أوروبا التجارية ضد إفريقيا، رأينا كيف أن هذه البلدان الخمس كانت تكافح لتحرير نفسها من نير الحكم الاستعماري– الإمبريالي، وربما التطور باتجاه كيان سياسي جديد يسمى شرق إفريقيا؛ إنَّها عملية وليست حدثًا[106].

أسس النهضة الإسلامية وأهميتها

المظهر الثاني للتحرير الوطني –النهضة الإسلامية– يشكل ظاهرة أكثر تعقيدًا. أستطيع القول إنَّ أسس هذه النهضة ترجع إلى الصعود السريع للإسلام في منتصف القرن السابع حتى منتصف القرن الحادي عشر، وإلى إسهام الإسلام في التنوير والنهضة الأوروبيين[107]، والحروب الصليبية، وظهور الرأسمالية بوصفها حالة إنتاج ممنهج في أوروبا.

لماذا لم تأتِ الثورة الرأسمالية إلى العالم الإسلامي (أو لهذا السبب إلى الهند القديمة أو إلى أمريكا الوسطى)؟ إنه سؤال لا ينطوي على أي جدوى أكاديمية أو تحليلية؛ الحقيقة التاريخية هي أن التصنيع والرأسمالية قدما إلى أوروبا أولًا. قدَّم ماركس صورة واضحة لما أسماه (التراكم البدائي)

الـذي انطـوى على تفسـير لأسـس الرأسـمالية في إنجلترا: الانتزاع الواسـع لملكيـة الأرض والممتلـكات الأخرى من الفلاحين الإنجليـز والإيرلنديين (ما يسمى بحركة التسييج)، وتملك الأرض المشاع من قبل طبقة نبلاء الأراضي الصاعـدة. حـدث هـذا خاصة بعـد المـوت الأسـود (1348–1350م). على أنـه قبل ذلـك بوقت قصير، حدث معظم التراكـم البدائي الضخم في أثناء الحروب الصليبية التي لم يتطرق ماركس إليها في تحليله.

يقـدم المؤرخون الأوروبيون الحمـلات الصليبية بوصفهـا حروبًا دفاعية ضد التوسـع الإسـلامي على الحـدود الأوروبيـة، وبوصفها جهـدًا يقصد به اسـتعادة حريـة الوصـول إلى الأماكن المقدسـة في القدس وحولها، لكن هذ لا يعـدو كونـه جزءًا مـن الرواية؛ لقد هـزَّ احتلال الأتراك العثمانيين شـرق أوروبـا المسـيحية؛ ولذلـك ولمـدة مئتـي سـنة تقريبًا –مـن سـنة 1030م وما بعدها– سـعى الغرب عن طريق تأجيج المشـاعر والغضب لوضع حد للتفوق الإسـلامي، إذا كان لا بد من إطلاق اسـم حرب عالمية أولى، كانت الحروب الصليبية الأجدر بذلك.

في نهايـة الحـروب الصليبيـة، وضعـت أول أسـس تقـدم الغـرب نحـو الرأسـمالية: تأسيـس مركزها المالي. إبَّـان الحرب البيزنطية–الإسـلامية 1030–1035م، أضعفت دولة مدينة البندقية الإيطالية السيطرة الإسلامية علـى البحـر الأبيض المتوسـط، علاوة علـى أن النورمان، وبمسـاعدة دولتي المدينتين الإيطاليتين؛ جنوا وبيزا، تمكنوا من اسـتعادة صقلية من المسـلمين بـين عامـي 1061 و 1091م. وفي أثنـاء الحملـة الصليبيـة الأولـى (1095–1099م)، احتـل الصليبيـون القدس، وانتهـى الأمـر بذبـح اليهـود والعرب الذيـن قاتلـوا معًـا ضد المسـيحيين، في الحملـة الصليبية الرابعـة (1202–

1204م)، تمت مهاجمة القسطنطينية حيث نهبت ثرواتها، تزامن هذا مع الابتكارات المالية لفرسان الهيكل الذين وجدوا طريقهم إلى مخزون الشرق من الذهب والفضة. أدَّت الحملة الصليبية الرابعة بصورة فعلية إلى تحويل مركز العالم النقدي من الأراضي البيزنطية والعربية إلى الغرب[108].

إذا نظرنا إلى تلك الحقبة بمنظور الإدراك المتأخر، نجد أنها شكلت تطورًا مهمًّا جدًّ؛ قبيل شروع كولومبوس في رحلته الرامية إلى اكتشاف الشرق في عام 1492م، كان الغرب قد أحكم سيطرته على النظام النقدي العالمي الناشئ؛ من صائغي الذهب في البندقية، إلى البيوتات المصرفية الإيطالية والكاتالونية، إلى الهانزا الألمانية (فرق المحاربين) ومقرضي النقود (ويسلرز، هوتشستيترز، توكمانز Weslers, Hoschstetters and Tuchmans)، إلى الرابطة الهانزية (رابطة المدن الألمانية الشمالية)، وإنشاء أول مركز رئيس للصرافة في أوروبا في بروجيه، وأخيرًا إلى إنشاء مصرف السويد في عام 1661م، وهو أول مصرف غربي للإصدارات الائتمانية، حيث تبع ذلك إنشاء مصرف إنجلترا في عام 1694م[109].

غير أنه في أيامنا هذه وبسبب العنصرية المؤسسية والخوف من الإسلام، طُمس هذا الجزء من التاريخ بصورة عامة، وباستثناء الأفراد الأكثر تنوُّرًا، تحوَّل الناس في الغرب اجتماعيًّا ونفسيًّا إلى ممارسة نوع معين من الغطرسة في عَدِّ الحضارة الغربية من نوعية راقية، عند مقارنتها مع النوعية الوضيعة للحضارة الإفريقية والشرقية، يوجد انطباع عام (غالبًا بسبب الصحافة التافهة) بأن الحياة أو الحقوق الإنسانية للشخص العادي الإفريقي أو الأفغاني أو الفلسطيني أو المسلم، لا تساوي شيئًا إذا ما قورنت بحياة الشخص الأبيض العادي وحقوقه، إنَّ من شأن هذه الغطرسة تسميم

العلاقات العادية بين الغرب والبقية؛ هذه هي الحقيقة الصارخة –والباعثة على الحزن– في العالم المعاصر لما بعد حقبة الاستعمار.

إذا لم يُفهم ذلك، فلن يفهم شيء عن ظهور تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام[110]. لايزال التناحر بين الشيعة والسنة الذي استمر قرونًا، يشكل عاملًا مؤسفًا يُغذَّى من قبل الغرب الذي يسعى إلى إشاعة الفرقة داخل الشعوب المغلوبة على أمرها ليسهل عليه السيطرة عليها، إنَّ سيطرة الأفكار المتشددة ناسبت المصالح الغربية عندما كان الغرب منخرطًا في صراع مع السوفييت في أفغانستان في الثمانينيات من القرن العشرين، استخدمت الإمبراطورية (الغربية) أكثر ارتدادات هذه الأفكار في الهجوم على الوطنيين والقوى التقدمية في العالم الثالث. تشكل الدولة الإسلامية في العراق والشام بذاتها أحد منتجات محاولات حلف الأطلسي فرض تغيير في النظام السوري.

إن أي شخص يثمن الحياة، وكذلك الحرية والأمن، لا يستطيع قبول طموحات الغرب الإمبريالية والنظام الديكتاتوري في سوريا وتجاوزات تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام. ولا يستطيع أي شخص يتمتع بعقل سليم قبول الوحشية التي ينطوي عليها قطع رؤوس الصحفيين وعمال الإغاثة، ولا يمكن قبول هذا، حتى وإن تصرف الغرب ووكالاته بالطريقة نفسها مع عدد لا حصر له من المسلمين.

أيضًا لا ينبغي أن تصبح تصرفات الدولة الإسلامية في العراق والشام معيارًا يحكم من خلاله على المنظمات الإسلامية الأخرى؛ مثل: الإخوان المسلمين؛ وهي –في أي حال من الأحوال– ليست منظمة مؤلفة من كتلة

واحدة، ولا يستطيع المرء أن ينسى أنه في الثلاثينيات من القرن العشرين أثَّرت شعبة الإخوان المسلمين ذات التوجه الوطني المعادي للإمبريالية في الهند بصورة حيوية في مقارعة الإمبراطورية البريطانية، إلى الحد الذي دفع بغاندي لتأييد استعادة الخلافة الإسلامية.

المقصود هنا أنه ما لم يتمتع المرء بمنظور تاريخي طويل، فإنه سيكون من المستحيل عليه فهم سبب إقصاء الإسلام المعتدل من قبل الجهاديين الأصوليين المتشددين، لماذا ينضمُّ الشباب المسلم من الغرب إلى صفوف الجهاديين[111]؟ ولماذا يختلف هيكل القيادة والتحكم في حلف الأطلسي كثيرًا عن الدولة الإسلامية في العراق والشام التي تتمتع بالمركزية العالية والتزود الذاتي؟ كيف يستطيع المرء أن يفسر الهزيمة المدوية التي لحقت بالجيش العراقي الذي يتلقى الإمدادات من حلف الأطلسي، ويضم (350,000) جندي على يد مقاتلي الدولة الإسلامية الذين لا يتعدى عددهم (1,300) فرد[112]؟ ما إذا كانت الدولة الإسلامية في العراق والشام ستنجح في تحقيق طموحاتها - حتى وإن كان ذلك جزئيًّا - وما إذا كان في استطاعة قوات حلف الأطلسي هزيمة الدولة الإسلامية عسكريًّا، فإن البذور التي زرعتها الدولة الإسلامية في العراق والشام ستبرعم ثانية.

إن قوة الفكرة – التي تُغذَّى بتاريخ امتد قرونًا من الحروب الصليبية والإذلال الذي يشعر به المسلمون في حياتهم اليومية – لا يمكن التخلص منها في غضون سنوات أو عقود.

نظرية التغيير الثوري وممارسته

إستراتيجية الإصلاح السائدة: الصفير في الظلام

في 4 فبراير عام 2014م، ألقت كريستين لاجارد؛ رئيسة صندوق النقد الدولي، محاضرة ريتشارد ديمبليبي في لندن[113]، في خطابها المعنون تعددية جديدة للقرن الواحد والعشرين A New Multilateralism for the Twenty–First Century، لفتت الانتباه إلى تحديات عدة تواجه النظام العالمي؛ أدلت ببيان جريء، أتفق معه بصورة عامة، قالت فيه:

«في الماضي، قلل الاقتصاديون من أهمية عدم المساواة، كانوا يركزون على النمو وعلى حجم الكعكة بدلًا من توزيعها، وفي هذه الأيام، أصبحنا أكثر إدراكًا لمدى الضرر الذي نشأ بسبب عدم المساواة؛ دعونا نضع الأمر بصورة بسيطة، إن من شأن الانحراف الشديد في توزيع الدخل أن يلحق الضرر بسرعة النمو ودوامه في المدى الأبعد؛ إنَّه يقود إلى اقتصاد الإقصاء، وإلى وضع يشبه الأرض اليباب التي لا طائل من ورائها».

من بين أشياء أخرى، لفتت الانتباه إلى «نقلة في القوة العالمية من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوب». هذا، بطبيعة الحال، أمر نسبي؛ لأنها قد توافق على أن الشمال هو قوي عسكريًّا وبصورة استثنائية. دعونا نبحث في جوجل ونرى ماذا تقول؛ أنا –باستخدام تعبير حديث ومخيف– (تجوجلت) بحثًا عن (القوة العسكرية الأمريكية مقارنة بباقي العالم)، وهذا ما حصلت عليه: «صرفت الولايات المتحدة عام 2012م على الدفاع

أكثر من ميزانيات البلدان العشرة التالية لها في حجم الميزانية مجتمعة؛ كان المبلغ الذي صرفته الولايات المتحدة في عام 2012م على الدفاع، وهو (682) مليار دولار، بحسب مكتب الإدارة والميزانية، يفوق مجموع الصرف العسكري للصين، وروسيا، والمملكة المتحدة، واليابان، وفرنسا، والمملكة العربية السعودية، والهند، وألمانيا، وإيطاليا، والبرازيل؛ فقد صرفت هذه الدول مبلغ (652) مليار دولار، بحسب قاعدة بيانات سيبري للصرف العسكري»[114].

في خطابها، أوردت لاجارد قائمة أشياء يتعيَّن عملها من أجل تغيير الوضع إلى الأحسن، ومن بين هذه الأشياء ذكرت: «إعطاء النمو على الفور أولوية تتجاوز الأزمة المالية، وتتعامل مع المديونية العالية الخاصة والعامة، وذكرت أيضًا العوائق البنيوية للتنافسية والنمو، والأنظمة المصرفية الضعيفة، والحاجة إلى نظام مالي يخدم اقتصادًا منتجًا-تشارك فيه الصناعة بالمسؤولية». أنهت خطابها بطرح تحدٍّ للجيل الحالي: «تمكن أجدادنا من قهر شياطين الماضي، وورثوا لنا عالمًا أفضل، وكان جيلنا المستفيد الرئيس ... الآن جاء دورنا لتعبيد الطريق للجيل القادم، هل نحن على مستوى هذا التحدي؟ مستقبلنا يعتمد على الإجابة عن هذا السؤال».

هذه، بصورة أساسية، إستراتيجية غربية لإنقاذ عالم يتعرض لأزمة؛ فمن المفهوم أنه لم يكن لرئيسة صندوق النقد الدولي أن تتقدم بإستراتيجية ثورية، حتى وإن كانت في لحظاتها الخاصة قد فكرت بواحدة.

بصراحة، إن حظوظ قائمة رغبات كريستين لاجارد في التنفيذ في واقع الأمر لا تعدو صفرًا؛ إن شياطين الماضي هم هنا ليبقوا حتى الزوال

النهائي للرأسمالية والإمبريالية. لا أرغب في تفصيل هذه النقطة؛ من المؤكد أن العالم سيستمر في النمو بالمفهوم المادي بسبب (وهنا نستخدم التعبير الماركسي) التطور المستمر في القوى المنتجة في ظل الرأسمالية[115]. للأغراض التي نتوخى، الشيءُ المهم هو أن توزيع ثمرات العمل الإنساني في ظل الرأسمالية (حتى نضع الموضوع في أبسط صوره) يسجل انحرافًا في صالح الأغنياء وضد الفقراء في داخل البلدان وبينها. يؤدي النظام الرأسمالي–الإمبريالي إلى استقطاب الثروة والفقر؛ هذا مستقر في حمضه النووي، وإذا كانت الطبقات العاملة قد حققت شيئًا، سواء أماديًّا كان أم معنويًّا من خلال الحصول على صوت في الديموقراطيات الرأسمالية (في الحقيقة، هي حكومات الأثرياء)، فإن ذلك قد جاء نتيجة المقاومة على المستوى السياسي؛ لقد أصبح العالم يتَّسم بدرجة أكبر من اللامساواة خلال الخمسين سنة الماضية تفوق ما حدث في الألف سنة التي سبقتها؛ لقد كشفت دراسة أجرتها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في عام 2011م– «نحن منقسمون: لماذا تستمر اللامساواة في الارتفاع» –بأن الشقة بين الأغنياء والفقراء قد اتسعت خلال العقد المنصرم، هذا التباين بين الدول واضح للعيان، وحتى في البلدان المتقدمة– بما فيها الدول التي تركز على المساواة بين مواطنيها؛ مثل ألمانيا والدنمارك والسويد –فإن الفجوة بين دخول الأغنياء والفقراء آخذة في الاتساع[116].

لا توجد إمكانية لحل يعالج القصور في التوزيع في نطاق النظام الحالي الذي جرت هيكلته لإنتاج عدم المساواة، وهذا هو المكان الذي يتحطم فيه تفاؤل كريستين لاجارد.

إن الذي نقدمه في مقابل هذه الإستراتيجية الإصلاحية، هو إستراتيجية حرب عصابات ضد السلام الإمبريالي.

حرب العصابات ضد السلام الإمبريالي

الحرب التجارية ليست كالحرب العسكرية؛ إذ إنهما تختلفان في نواح مهمة عدة، لكن هناك مبادئ معينة للحرب العسكرية يمكن تطبيقها في الحرب التجارية؛ الأوضاع التي تسود فيها القوة غير المتكافئة تتطلب تكتيكات عصابات، وهنالك الكثير الذي يمكن تعلمه من صن تزو، ماو، تشي جيفارا، كابرال، لي دوان، جياب، غاندي، نكروما، نايريري، كاسترو بالإضافة إلى آخرين[117]، قد تستغرب لأنني وضعت هؤلاء جميعهم في المجموعة نفسها، ولكن إذا نظرت إلى مسيرة حياتهم والكيفية التي قاتلوا فيها ضد أوضاع القوى غير المتكافئة، فستجد أنهم خلفوا وراءهم تركة وتكتيكات لاستخدامها في النضال ضد الخصوم الأكثر قوة وخطورة.

لماذا حرب العصابات اللاعنفية؟

السؤال الأول الذي أواجهه هو فيما إذا كنت جادًّا بشأن حرب العصابات، هل ما أقوله ينطوي على غلو أو حتى جنون عظمة أو مجرد خيال؟

إن الإستراتيجية التي أقدمها ليست خيالية، ولا تنم عن جنون عظمة أيضًا؛ إنها إستراتيجية جادة، هنالك الكثير الذي يجب تعلمه من تشي الذي يُتَّخذ رمزًا لحرب العصابات، ولكننا نحتاج إلى الذهاب إلى أبعد

منـه، أولئـك الـذي يبحثـون عـن نوع آخر من السـلام ليـس لديهـم خيار إلا الانخـراط في حـرب عصابات خالية مـن العنف ضد النظام السـائد، أقول خاليـة مـن العنـف؛ لأننـي أعتقد جازمًـا أنـه وإن كان يتحرك ببـطء، إلا أن النضـال اللاعنفـي هـو أكثر إنسـانية، وأكثر فاعليـة وأكثر ديمومـة؛ العنف يبعـث علـى الانقسـام، وبينمـا يكـون تأثيره في غالب الأحيـان مباشـرًا، إلا أنـه قد يكـون أقل دوامًا، هنالـك العديد من التحديات التـي تواجه نضالات العصابـات اللاعنفيـة، إن الرحلـة مـن هنا إلى هناك (بصـرف النظر عن الطريقة التي يعرف بها الشـخص هناك) تواجه تحديات تكتيكية مباشرة، ويجب التعامل معها هنا والآن، غير أنها من منظور إستراتيجي تمثل نضالًا طويلًا.

إن النضـال الطويـل ليـس كرحلة يوم واحـد، وأؤلئك الذيـن يعتقدون أن السـبب الأصلي للمشـكلات المعاصرة جميعها يتمثل في الرأسـمالية، عليهم أن يخوضـوا كفاحًـا يمتد لحقبة من الزمن، ربما يتعـيَّن عليه الانتظار لوقت طويل؛ من المؤكد أن النظام الحالي يتشقق –مثلما شهدناه عندما كنا نتابع الفوضى المالية الحالية– غير أن السفينة الرأسمالية لا توشك على التحطم؛ هنالـك مـا يزيد على سـتة مليارات من البشـر على ظهرها، الإسـتراتيجية هـي أن نصنـع ألف–مئـة ألف– قارب ونبدأ بقذفهـم في المحيط، حتى تبدأ النسـاء والأطفال الذين يرافقهم جدافون ماهرون، أخذ طريقهم في البحر المتلاطـم، وبحلـول الوقـت الـذي تغرق فيـه السـفينة الرأسـمالية، يجب ألا يكـون أي إنسـان على متنهـا؛ ولذلك فهو نضال يسـتغرق الحقبـة، ولقد بدأ فعلًا بالثورة الروسـية عام 1917م، إن لم يكن قبل ذلك، وبين ذلك التاريخ

واليوم، أُقيمت تجارب عدة في الاشتراكية؛ لقد خلفت هذه التجارب وراءها أنقاضًا وحطام قوارب في المحيط، غير أنها خلفت أيضًا ثروة من الخبرة والمعلومات، يتعيَّن على الإنسانية أن تتعلم أن النجاحات والإخفاقات هي حصيلة ما يقارب قرنًا من النضال ضد الرأسمالية، والإمبريالية التي نتجت منها بالضرورة.

هذا موضوع صعب ومعقد يتم تناوله في الفصل الأخير من كتاب يعالج ناحية صغيرة من المصير المحتوم للسفينة الإمبريالية؛ ولهذا فإنني أقدم لاحقًا لمحة عن الصورة الأكبر، ومن دون الرؤية الإستراتيجية الأكبر، فإن ردود الفعل التكتيكية على القضية التجارية ربما لن تكون مضللة فقط، ولكنها أيضًا مبنية على وهم.

فلسفة التناقضات

العديد من حركات العصابات استخدمت تعليمات ماو –بما في ذلك نظريته حول التناقضات– لتحقيق أهداف سياسية مشروعة، بعض هذه الحركات –كتلك التي نشأت في بيرو وسريلانكا– انتهت بنتائج كارثية بالنسبة إلى قادتها وشعوبها على حد سواء؛ كنت جزءًا من حركة عصابات ماوية كانت تعمل تحت الأرض في أوغندا في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، وأمتلك بعض المعلومات التجريبية عن نقاط قوتها ونقاط ضعفها؛ ولذلك ففي الوقت الذي ينبغي علينا تعلم الكثير من ماو، فإننا نحتاج إلى أن نتجاوزه.

في مرحلة تخطي ماو، سأُوسِّع المجال ليغطي مسائل فلسفية أكبر. يساعد الرسم الآتي على شرح مدى التعقيد والتداخلات التي تنطوي عليها النواحي الثلاث لهذا البحث.

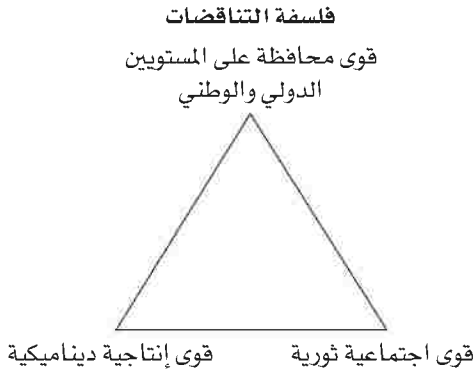

وكما شرحت سابقًا، أود أن أقول إن القوى الأكثر ديناميكية تتمثل على المستوى المادي، في تطوير القوى المنتجة[118]. تبعًا لما يقوله ماركس وماو، فإن الطبقات العاملة –أولئك العاملون في الأرض والصناعة والخدمات– هم الطبقات الأكثر ثورية، وأود أن أضيف إن الطبقات العاملة ليست ببساطة هي التي تشكل الجماهير. تبعًا لما يقوله الأنبياء والرسل والفلاسفة والمفكرون والزعماء القوميون، أستطيع أن أقول إن الجماهير لا تُلهَم فقط بالقوى المادية؛ أي تجربة القمع والاستغلال على مستوى الإنتاج، وإنما يمكن إلهامها بما يمكن أن أدعوه القوى الروحية؛ لعدم وجود كلمة أفضل، وبموجب تعريفي، تضم القوى الروحية العقيدة وروح العصر، غير أنني أضيف أنني أعرِّف روح العصر لا لتعني التحديث والعالمية، بل المقاومة ضد

الاستغلال والاضطهاد على المستويات جميعها؛ الدولة، الطبقة، الجنس، العمر، الديانة، ثم البيئة.

أدرك أنني أسير عبر تضاريس فلسفية خطرة، لكنني لست فيلسوفًا؛ يمكن أن تواجهك مشكلات بشأن الفلسفة الآنفة الذكر، ولكنني سأترك الموضوع عند هذا الحد؛ فهدفي هو أن أشحن المقدرة على التخيل، ليس بهدف التوصل إلى إجماع، ولكن لأحرك نقاشًا صحيًّا، ينبغي أن يتناول المسائل المعيارية والأخلاقية وليس فقط المسائل الإستراتيجية والتكتيكية.

يبقى سؤال واحد؛ كان لماركس وماو منظور اجتماعي، وربما تسأل: ما هو منظوري؟ حسنًا، بالبناء على التشبيه الذي انطوت عليه السفينة الرأسمالية، يتألف منظوري من آلاف القوارب الصغيرة في المحيط؛ آلاف من المجتمعات اللاعنفية التي تعتمد على نفسها إلى حد ما، والتي تُنظِّم الوسائل الخاصة بها في الإنتاج والاستهلاك، يتعيَّن على هذه المجتمعات ألا تشعر بالآخرين فقط، ولكن أيضًا أن تشعر بالطبيعة، ينبغي لها أن تتاجر مع بعضها بالبضائع والخدمات التي لا تمتلك الموارد لإنتاجها، ولكن يجب أن تمارس التجارة بها على أساس قيم الاستخدام، وليس على أساس قيم التبادل السلعية. وفي معرض إعادة صياغة ما قاله غاندي، العالم لديه ما يكفي لسد الحاجات الأساسية للجميع، ولكن ليس لتنفيذ جشع مليار من المستهلكين على حساب خمسة مليارات من الناس المغلوبين على أمرهم الذين جُرِّدوا من ممتلكاتهم، وليس على حساب البيئة والمخلوقات الأخرى؛ على البشرية أن تستوعب المخلوقات جميعها، بما فيها النباتات والحيوانات.

والآن إلى السؤال العملاق: كيف نستطيع تحويل هذه الرؤية إلى حقيقة؟ تحويل الرؤية إلى حقيقة هو أسهل قولًا منه عملًا، غير أنه يتعيَّن علينا أن نبدأ في مكان ما، لا يوجد أمامنا طريق آخر إذا أردنا أن نغادر السلام الإمبريالي المجحف والعنيف هذا إلى نوع آخر من السلام؛ سلام الشعوب.

تجنيد القوى المادية والاجتماعية

بالإشارة إلى العلاقة المثلثية المرسومة آنفًا، نحتاج إلى التأمل والعمل على مستويين:

1. المستوى المادي: يتعلق بالإنتاج والتبادل.
2. المستوى الاجتماعي: يتعلق بالعلاقات الإنتاجية، والأسس العقائدية والأخلاقية للمجتمع.

ما يأتي هي أفكار مبدئية، مع الأخذ في الحسبان المساحة المحدودة والحاجة إلى نقل مغزى توجيهي على نحو مختصر ما أمكن ذلك.

على المستوى المادي: (الفصل)

في عام 1990م، ألَّف سمير أمين كتابًا ترك تأثيرًا كبيرًا تحقيق الفصل نحو عالم متعدد المراكز، كان أمين شخصية رئيسة في تحدي النظام الرأسمالي والإمبريالي الحالي، وفي تزويد جيل من الدارسين –من الشمال ومن الجنوب– بمواد للنقاش العميق والملح حول حتمية التحول إلى نظام

جديد، لقد حاجج أمين بأن الرأسمالية وصلت إلى نهاية طريقها، ولا بد للإنسانية من التحرك نحو حضارة جديدة[119].

مفهوم فصل الازدواجية الذي أتبناه (decoupling) مشابه لما أخذ به أمين من فصل الارتباط (delinking)؛ يستخدم أمين التعبير بصورة أساسية بوصفه مفهومًا توجيهيًّا؛ ولكنني أستخدمه بوصفه مفهومًا وصفيًّا وتوجيهيًّا، بتعبير آخر: أنا أعتقد أن الفصل يحصل فعلًا. سأعود إلى هذا عندما أقصي الفكرة عن صيغ لكلمة (فصل) يستخدمها أمين، ولكنها تحمل فروقات بسيطة في المعنى، حتى وإن كانت الكلمة نفسها لم تستخدم؛ ولهذا- على سبيل المثال- أظهر جوزيف ستيغلتز هذا الفارق البسيط في مقاله المعنون على الجانب غير الصحيح من العولمة بشأن الشراكة عبر الباسيفيكي[120]. ستيغلتز محق (في تقديري) في انتقاد الشراكة عبر الباسيفيكي، غير أنه يبدو وكأنه يعتقد بوجود جانب صحيح لمفهوم العولمة؛ بصورة أساسية، ينتمي ستيغلتز إلى طراز كريستين لاجارد الإصلاحي، ويتبنى الأوهام نفسها عندما يأتي الأمر إلى إصلاح النظام الرأسمالي عن طريق فصله عن صيغة السوق الحرة، وتحويله إلى نوع من الرأسمالية المنظمة[121].

أنا أبدأ بالاقتراح بأن الرأسمالية غير قابلة للتنظيم؛ إنها بطبيعتها الأساسية فوضوية؛ ولاعبوها الرئيسون -الشركات متعددة الجنسيات والمضاربون بالسلع- يفضلون نظامًا فوضويًّا يستطيعون التلاعب به، لقد حاجج بعض الاقتصاديين والصحفيين في النظام السائد -مثل وولفجانغ مانشاو وديفيد بيلينغ- بصورة أساسية، بأن العولمة أمر واقع، وهي هنا لتبقى، وأن الانفصال عنها غير ممكن، أقول لهم إن الانفصال ليس ممكنًا

فقط، ولكنه حاصل بالفعل، حتى داخل المنظومة الرأسمالية؛ مشروع العولمة يتعرض لأزمة نظامية عميقة؛ لقد انفصلت بلدان مثل الصين، والهند، والبرازيل، وتشيلي، وماليزيا، وفنزويلا، ... إلخ، جزئيًّا عن النظام العالمي؛ على سبيل المثال، تحدي صندوق النقد الدولي برفض تحرير التدفقات الرأسمالية، واستبدالها بالسيطرة الكلية (الصين) أو الجزئية (الهند، الأرجنتين) على عملاتها، ورفضها الخضوع تحت تأثير الضغوط التحريرية من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ومنظمة التجارة العالمية؛ لقد أحسنت صنعًا- على نحو نسبي- عندما شكلت حائطًا ناريًّا لحماية نفسها في مواجهة الهجوم الفيروسي الذي أطلقته الأزمة الإسكانية في الولايات المتحدة بين عامي 2007 و2008م، لقد أوجد ذلك متَّسعًا في السياسات لدى الصين والهند والبرازيل وروسيا، ما مكنها من مقاومة الأزمة المالية بصورة أفضل من دول الشمال[122]. وبتعبير آخر، من أجل الاستمرار في تشبيه السفينة الرأسمالية، لقد أبقت هذه البلدان -دول البريكس زائد فنزويلا، تشيلي، ماليزيا، إيران، وبلدان أخرى- بنفسها على ظهر السفينة الرأسمالية، غير أنها ترفض إطاعة أوامر القبطان، وألقت قواربها الرأسمالية الصغيرة في المحيط من أجل الانفصال عن السفينة الرئيسة.

في قاموسي إذن، تمثل الإقليمية ضربًا من الانفصال، لقد رأينا في الفصل الثالث أن شعب شرق إفريقيا (وليس الحكومات) استطاع -حتى الآن- المحافظة على طموحه وبرنامجه الإقليمي، ورفض الاستسلام لتكتيكات (فرِّق تسد) التي يتبعها الاتحاد الأوروبي.

سأخطو خطوة أخرى؛ بينما تسعى بلدان للانفصال عن العولمة، تفصل الإمبراطورية بالقوة البلدان الصعبة؛ مثل روسيا والصين وكوبا ودول أخرى

عديدة، ففي أعقاب الأزمة الأوكرانية في عام 2012م، فرض الغرب عقوبات على روسيا التي بلغت أوجها، فعليًّا، بفصل روسيا عن العولمة، بعبارة أخرى: الفصل –وليس الانضام إلى العولمة التي تقودها الإمبراطورية– أصبح يمثل روح العصر في أيامنا هذه.

من قيم التبادل إلى قيم الاستخدام

إن الصورة الأعمق للفصل هي التي تفصل ارتباط المجتمعات عن النظام الرأسمالي لإنتاج السلع، هذا هو الذي يمثل فعلًا الإستراتيجية بعيدة المدى، والرؤية المستقبلية. أحاجج على أنه على المستوى المحلي أو مستوى المجتمع، يتعيَّن على الناس العاديين القيام بجهد واعٍ لإيجاد طرق للانفصال عن النظام الجائر الذي يعتمد على القيمة المرتبطة بالسوق.

في قلب الأزمة الحضارية المعاصرة، يتمركز المنطق الاختزالي الذي يقيم كل شيء بالنقود؛ كل شيء، بما في ذلك كرامة الفرد –خاصة النساء والأطفال المعرضون للأخطار– يخضع لقانون القيمة، كل شيء يُحوَّل إلى سلعة، غير أنه في فجوات نظام العولمة هذا تُبذل جهود بطولية من قبل بعض المجتمعات للنأي بأنفسها عن هذا النظام؛ هنالك العديد من المقاربات الإبداعية، بما في ذلك إنتاج السلع والخدمات اعتمادًا على التبادل الذي لا ينطوي على استخدام النقود، كذلك عندما تكون هناك حاجة إلى النقود بوصفها وسيلة للتبادل، طوَّرت المجتمعات النقود الشعبية (نوع من أنظمة قسائم العمل) التي تُفصل عن النقود الوطنية، المعروفة بسوء السمعة لخضوعها للتذبذبات والمضاربة[123].

على المستوى الاجتماعي: دور الناحية العقائدية والمعرفة

عـرف الفيلسـوف الألماني كارل مانهـايم الإيديولوجيا بأنهـا كامل نظام الفكـر الـذي تعتنقـه المجموعـات الحاكمة في المجتمـع. تخفـي الإيديولوجيا الظـروف الحقيقيـة، وبذلـك تحافـظ علـى الوضـع الراهـن. في كتابـه الإيديولوجيا والمدينة الفاضلة: مدخل إلى علم اجتماع المعرفة، حلَّل مانهايم العلاقـة بين علم الاجتماع والسياسـة الاجتماعيـة، ودور النخبة المثقفة[124]. في معرض اسـتعارته من ماركـس، حاجـج مانهايم بأن البنيـة الإيديولوجية للفكـر تُكيَّـف بحسـب الهيـكل الطبقـي للمجتمـع، ومضـى إلى القـول إنه في المجتمعات المقسـمة إلى طبقات، فـإن طبقة خاصة من الأفراد الذين يتكوّن رأسـمالهم فقـط مـن تعليمهم، يطـورون أفكارهم لإحراز تقـدم في مصالح مختلف الطبقات، من بين أولئك الذين يخدمون الطبقات الحاكمة؛ يقدمون المعرفـة التي تشـكل نواة الإيديولوجيـا الحاكمة، رأي العالم السـائد؛ يواجه هؤلاء معارضة من قبل طبقة أخرى تتحدى المعتقد التقليدي الحاكم، بما في ذلك إنتاج المعرفة. وقال مانهايم إن الإيديولوجيا السائدة تجعل المجموعات الحاكمة معادية للمعرفة التي قد تهدد استمرار هيمنتها.

تبعًـا لمانهـايم، أعتقد بأننا على مفترق طرق بـين– من ناحية– النظرية الكلاسـيكية الجديـدة التي سـادت لمـدة أربعين سـنة تقريبًا، والتـي أنتجت إيديولوجيـا الليبراليـة الجديدة الفاشـلة، ومن ناحية أخـرى التحدي الذي تواجهـه النخبـة المثقفـة الراديكالية في إنتـاج معرفة تحرر النـاس وقادتهم السياسيين من العقلية الظلامية.

إنَّ مسألة من أين تأتي المعرفة والكيفية التي نعرف بها ما نعرف شغلت الفلاسفة على مر القرون، ومن أفضل الكتب التي قرأتها مؤخرًا عن الموضوع كتاب نسيم طالب البجعة السوداء، الذي يهاجم فيه من بين أمور أخرى المعرفة الخارجة عن سياقها (أو ما يدعوه الأفلاطونية)[125]. من منظور إفريقي، كتب داني ودادا نابوديري، وهو باحث وناشط سياسي أوغندي عملت معه قرابة ثلاثين سنة، بعض تأملاته حول هذا الموضوع قبيل وفاته في شهر نوفمبر عام 2011م؛ في الكتابين اللذين ألفهما وهما نظرية المعرفة الإفريقية: فلسفة وكمال: نظرية في المعرفة، نظرية المعرفة الإفريقية والعبرمنهجية: القدرة على استعادة نظرية المعرفة، يُحلِّل نابوديري الأزمة التي خلقتها تجزئة ديكارت للمعرفة في الغرب، ويقدم ومضات من أنظمة المعرفة الإفريقية التقليدية[126].

فيما عدا المستوى الإيديولوجي (الذي أُعرِّفه هنا في المجال الاقتصادي بصورة أساسية) هنالك النضال على المستويات السياسية والأخلاقية والقيمية. يعدُّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي نتفق عليه جميعًا مثالًا جيدًا، غير أنه في السياسة العالمية، حيث يسود الطابع الفوضوي، تعرضت حقوق الإنسان لإساءة الاستخدام من قبل بلدان حلف الأطلسي في نطاق التدخل في الشؤون الداخلية لبلدان الجنوب بصورة أساسية، أكثر إساءات الاستخدام هذه لحقت بإحدى النتائج المترتبة على حقوق الإنسان، وهي المسؤولية في الحماية (R2P) التي تضمنها قرار الأمم المتحدة رقم (308/63/ A/RES)[127].

لقد حدث الشيء نفسه بالنسبة إلى المعايير القيمية الأخرى؛ مثل: الديموقراطية، وحرية الصحافة، والحكم الرشيد، وغيرها، لقد أصبحت

هـذه بمثابـة أدوات معيارية لخوض ما يرقى إلى حـرب ضد بلدان الجنوب، مثل إيران وكوبا، أو ضد مجموعات داخل هذه البلدان تحت اسم استئصال الإرهابيين. من الضروري خلق عالم مختلف؛ لا يوجد فيه حلف الأطلسي ولا الأحلاف العسكرية المماثلة، عندئذٍ تعني هذه المعايير السياسية والأخلاقية ما ترمز إليه بحق.

من هنا إلى هناك: ألف قارب في المحيط

حـول الكيفيـة التـي يمكـن لنا مـن خلالهـا التحرك إلـى الأمـام، دعونا نسـتمع إلى الحكيم والإستراتيجي العسكري الصيني صن تزو (544–496 قبل الميلاد)، الذي استقى حكمته من الطاوية، وهي المعرفة التي تشجع على ممارسـة كلا فنون الاستشـفاء والفنون العسـكرية في الصين؛ كتابه المعنون فنون الحرب يزخر بالحكمة التي تتعلق بالحرب والتي يمكن تطبيقها في أيامنا هذه، وتتعلق أيضًا بمختلف أسـاليب الحرب، بما فيها حرب العصابات[128]. يجـب أن يكـون هذا الكتاب على مكتـب كل مقاتل في حرب العصابات، يقول صـن تـزو إنـه تبعًـا لقاعـدة العمليـات العسـكرية: «هنالك تسـعة أنـواع من الأراضي:

1. أرض الانحـلال: حيـث تتصـارع المصالـح المحليـة فيمـا بينهـا فوق أراضيها.
2. الأرض الخفيفة: عندما تدخل أرض الآخرين، ولكن لا تتوغل فيها.

3. أرض الخصام: وهي الأرض التي تكون مفيدة لك إذا حصلت عليها، ومفيدة لخصومك إذا حصلوا عليها.
4. أرض المرور: وهي الأرض التي يمكن لك وللآخرين التحرك عليها ذهابًا وإيابًا.
5. الأرض المتقاطعة: وهي الأرض المحاطة بالمنافسين من ثلاث جهات، ويمكن للناس جميعهم في البر الأصلي المرور خلالها.
6. الأرض الثقيلة: عندما تدخل عميقًا في أرض الغير، وتجتاز مدن وبلدات عدة.
7. الأرض السيئة: عندما تسافر خلال الغابات الجبلية والمنحدرات السحيقة والمستنقعات والطرق التي يصعب السفر من خلالها.
8. الأرض المحاطة: عندما تكون الطرق الداخلية ضيقة والطرق الخارجية صعبة، حتى إنَّ قوة صغيرة معادية تستطيع الفتك بك.
9. أرض الموت: حيث تستطيع أن تبقى على قيد الحياة إذا قاتلت بسرعة، وأن يكون مصيرك الهلاك إذا أخفقت في ذلك»[129].

يقدم صن تزو إستراتيجيات وتكتيكات مفصلة لكل أرض؛ «لذلك، لا تسمح لنفسك بخوض معركة فوق أرض الانحلال، ولا أن يكون هناك توقف فوق الأرض الخفيفة» وهكذا. هو معارض للحرب: «أن تكسب من دون حرب هو الأفضل... الجيش المنتصر هو الذي يكسب أولًا، ثم يسعى إلى المعركة؛ أما الجيش المهزوم فهو الذي يقاتل أولًا ثم يسعى النصر».

إذا أردتُ أن ألخص التجارة حرب مستخدمًا الاصطلاحات الموجودة أعلاه، أقول إن الإمبريالية تمكنت من دفع الجنوب إلى أرض سيئة، وبعض

البلدان، مثل الصين وكوبا وإيران، تتحد في مواجهة الخصوم، لكن معظم البلدان الأخرى تقف على أرض الانحلال. هذه النتيجة تأتي بصورة أساسية من تكتيكات (فرق تسد) التي تستخدمها القوى الإمبريالية، والتي بالرغم من الخلافات بينها، فإنها تتحد تحت مظلة حلف الأطلسي عندما تواجه بأوضاع مثل وضع ليبيا في عام 2011م، وأكرانيا عام 2014م، وفلسطين منذ تأسيس دولة إسرائيل في عام 1948م. الحرب بشأن اتفاقيات الشراكة الاقتصادية بين إفريقيا وأوروبا تظهر أن إفريقيا تقف على أرض الانحلال، وإن لم تتحد إفريقيا، فإنها ستجد نفسها قريبًا على أرض الموت؛ ببساطة ستضمحل صناعات إفريقيا، ومعها يضمحل مستقبلها ، ولكن يجب ألَّا يكون ذلك سببًا يدفع إلى اليأس والاستسلام.

مجلس الأمن الدولي يشهد شبه شلل، لكن الفيتو الروسي والصيني يستطيعان إنقاذ الجنوب من الخضوع للضغوط. الجمعية العامة لا تمتلك سلطة فرض العقوبات، لكنها أرض للمرور. وهي أيضًا أرض محاطة وأرض الخصام، وقد تشكل وسيلة مفيدة لعزل الخصوم، كما فعلت فلسطين بالنسبة إلى إسرائيل. زد على ذلك أن الأمم المتحدة تمثِّل منبرًا لمعرفة أعدائك وأصدقائك، ولتشكيل الأحلاف. كما يقول صن تزو: «أولئك الذين لا يعرفون خطط منافسيهم لا يستطيعون تشكيل أحلاف».

يقول تزو: «عندما تكون إستراتيجيتك عميقة وذات باع طويل، تستطيع الفوز حتى قبل أن تقاتل».

لقد حان الوقت لوضع إستراتيجية لإطلاق ألف قارب إلى المحيط؛ إنَّه المكان الذي أقف فيه.

هوامش

1. هذه الاقتباسات من مذكراتي التي دوَّنتها في أثناء الاجتماع.
2. انظر قاموس المصطلحات.
3. نقل ذلك أيضًا أليكس سميث من وكالة أنباء الأسوشييتد برس، سان فرانسيسكو، 26 أكتوبر 2008م.
4. يشير تعبير إجماع واشنطن بصورة عامة إلى مجموعة توصيات خاصة بالسياسة الاقتصادية مرتبطة بالسوق (ويشار إليها أيضًا من قبل منتقديها بالأصولية الليبرالية الجديدة) تفرَض من قبل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي والبلدان الغربية، مقابل ما يدعى مساعدات التنمية التي تقدم إلى البلدان النامية.
5. الاقتصاد الكينزي الجديد يمثل مدرسة في فكر الاقتصاد الكلي طُوِّرت في مدة ما بعد الحرب العالمية الثانية من كتابات جون مينارد كينز، تتحدى هذه النظرية فكر الاقتصاد الكلي النقدي السائد الذي تضمنه إجماع واشنطن.
6. وجهة نظري بهذا الصدد مبنية على حقيقة أن المجتمع الدولي هو مجتمع بلا رأس، كما هو حال قبيلة كاراموجونغ في أوغندا التي ترعرت في كنفها. المجتمع من دون رأس هو مجتمع لا جنسية له؛ ولا سلطة مركزية له. وأن العالم ليس لديه سلطة مركزية، تمثل الأمم المتحدة تجمُّعًا للأمم؛ وليست دولة عالمية، يُتوصَّل إلى القرارات فيها عن طريق المفاوضات بين الدول ذات السيادة التي تتخلى عن إرادتها من أجل عملية جماعية فقط إلى الحد الذي ترغب به أو تجبر عليه، وتتصرف الدول الكبيرة والقوية بحكم رغباتها

في الغالب، فيما تخضع الدول الضعيفة والمغلوبة على أمرها إلى حد كبير لإملاءات الدول الكبرى؛ لأنها مجبرة على ذلك، غير أن منظور الواقع السياسي للعلاقات الدولية لا ينسجم أيضًا بصورة كاملة مع الحقائق على الأرض؛ يتخلل استعراض العضلات بين الدول الكبرى والقوية شيء من الممارسات الدبلوماسية التقليدية التي تحظى بالاحترام، بحيث تسعى الدبلوماسية إلى تنفيذ الترتيبات التي اتُّفق عليها تجنبًا للحرب. وجهة نظري (بصرف النظر عن وصفها بالفلسفية أو الفقهية) أنه في مجتمع ليس له رأس، تُفضَّل الدبلوماسية على العقوبات.

7. توجد مدرسة من الناشطين القانونيين تقول بأن قرارات منظمة التجارة العالمية تخلق سوابق تتطور على مر الزمن إلى نظام من الأحكام، من خلال الممارسات التقليدية والإذعان المعتاد. لن أدخل في منظور هيجل ـ كانط الغائي الذي لا أشاطره، والذي يجري إحياؤه بين اليساريين في أجزاء من القارة الأوروبية. لمعرفة المزيد حول ذلك، راجع التقليد الكانطي في مؤلف مارتن قريفيثز (1999، 2006م) خمسون من مفكري العلاقات الدولية الرئيسين، الناشر روتليدج.

8. استعرت هذا التعبير من هوديك، راجع الملاحظة إكس.

9. المجموعة الأولى تخضع للقسم (301) من قانون التجارة والتنافسية، فيما تخضع المجموعة الثانية للتعرفات المناهضة للإغراق والتعرفات التعويضية.

10. لإجراء بحث جيد حول مفهوم العدالة في التجارة الدولية، راجع مقال روبرت آي. هوديك (1990م) مرآة، مرآة على الحائط: مفهوم العدالة في سياسة التجارة الخارجية للولايات المتحدة، ضمن مقالات حول طبيعة قانون التجارة الدولية، كاميرون.

11. برتوكول كيوتو الملحق باتفاقية الأمم المتحدة الإطارية حول التغير المناخي يمثل معاهدة دولية ملزمة قانونًا، والاتفاقية تهدف إلى منع التدخل البشري المنشأ في النظام المناخي؛ يفرض البروتوكول شروطًا ملزمة على الدول الصناعية تهدف إلى تخفيض انبعاثات غازات الاحتباس الحراري.

12. قال العنكبون للذبابة: «هلا دخلت إلى ردهة منزلي، الطريق إلى ردهة منزلي يمر عبر درج متعرج». قالت الذبابة الصغيرة «لا، لا، أنت تطلب مني أمرًا عبثيًّا؛ لأن من يصعد درجك المتعرج لن ينزل ثانية أبدًا».

13. تبعًا لذلك، كتبت موضوعا بعنوان محاولتي الدخول إلى غرفة المرجل في مؤتمر الدوحة الوزاري، راجع نشرة معهد سيتيني بتاريخ 30 نوفمبر 2001م.

14. في المقابل، في الاجتماع الوزاري لمنظمة التجارة العالمية في هونغ كونغ، لم يكن هناك إجماع بهذا المفهوم الفني؛ في اليوم الأخير، تلا رئيس المؤتمر إعلان هونغ كونغ الذي لم يطلع عليه إلا عدد قليل من الوفود المتنفذة، ومن دون مزيد من البحث، ضرب الرئيس بمطرقته على الطاولة معلنًا أنه لعدم وجود اعتراض من أي شخص، فإنه قد تم تبني الإعلان بالإجماع، ثم نهض رئيسا وفدي كوبا وفنزويلا من قاعة المؤتمر مباشرة ليعلنا اعتراضهما، ولكن عندما رفض رئيس المؤتمر الاعتراف باعتراضهما، اندفعا إلى المنصة ليحتجا إلى الرئيس بأنهما لم يوافقا على الإعلان، دوِّن اعتراض كوبا وفنزويلا في السجلات بحسب الأصول، كنت حاضرًا في الاجتماع، واستفسرت لاحقًا من خبير قانوني من منظمة التجارة العالمية عن النتائج القانونية لسحب الموافقة هذه من قبل البلدين، فأجابني «لا شيء؛ إنَّهما لاعبان صغيران، لا أهمية لهما».

15. بالرغم من ذلك، راجع الملاحظة السابقة.

16. نظرية التبعية تعتمد على جدلية أن الدول الفقيرة تفقر والدول الغنية تصبح أكثر ثراء؛ بسبب الطريقة التي تُدمَج فيها الدول الفقيرة في نظام الإنتاج والتبادل العالمي، وتنصُّ النظرية على أن الموارد تتدفق من المحيط الخارجي لاقتصاديات الدول الفقيرة والمتخلفة إلى مركز النظام العالمي للبلدان الغنية، وتجادل النظرية بأن هذا هو السبب الرئيس لاستمرار الشقة وتوسعها بين الدول الفقيرة والغنية.

17. انظر الفصل الثالث: اتفاقيات الشراكة الاقتصادية: حرب أوروبا التجارية على إفريقيا.

18. راجع جين زايجلر (2011م). الحرب من أجل الحق في الغذاء: الدروس المستفادة، بالجريف. يدعم الكتاب الحق في الغذاء نظريًّا وعمليًّا اعتمادًا على تطورات مفاهيمية وقانونية، وعلى تجارب في أحد عشر بلدًا في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

19. أنا أجزم بذلك؛ لأنني رأيت ذلك عن كثب في الثمانينيات والتسعينيات عندما كنت أعمل في المناطق القروية في زيمبابوي بصفة مستشار تطوير.

20. الدعم الزراعي في الصندوق الأخضر (ICTSD). منظمة التجارة العالمية، سبتمبر 2009م.

21. انظر مركز الجنوب، ملاحظة تحليلية الوضع الحالي لمحادثات الدوحة التابعة لمنظمة التجارة العالمية والتعليقات على وثائق 21 أبريل، أبريل 2011م.
22. أوكسفام، 2003م. زراعة الفقر: تأثير دعم القطن في الولايات المتحدة على إفريقيا، دراسة موجزة، بافز، 2003م.
23. أندريه آر. وودوارد (2007م). دراسة الحالة رقم 10ـ5، تأثير الدعم الأمريكي في إنتاج القطن في غرب إفريقيا. بينسترب ـ أندرسون وفوجي تشينك (محررون)، سياسة الغذاء للدول النامية: دراسات حالات. http://cip.cornell.edu/dns.gfs/1200428204
24. انظر آي.أف.دي.سي.: ربط زراعة القطن بالأمن الغذائي في بلدان القطن الأربع، تقرير آي.أف.دي.سي.، المجلد 38، رقم 1 (2013م). http://www.ifdc.org/About/IFDC_Articles/Linking_Cotton_and_Food_Security_in_the_Cotton_Four/
25. المرجع نفسه.
26. لمعرفة الكيفية التي وضعت بها أهداف الألفية للتنمية على جدول أعمال الأمم المتحدة، والأثر الذي تركته الشخصيات المرموقة في عالم الأعمال الخيرية والإعلام؛ مثل: بوب جيلدوف، بونو، جورج كلوني، أنجيلينا جولي، راجع سامر، أندي، وميرا تيواري (2009م). بعد 2015م: سياسة التنمية الدولية على مفترق طرق، بالجريف.
27. ساوث بوليتين رقم 73،7 يوليو 2013م.
28. انظر www.businesseurope.eu.
29. روبرت سكايديلسكي (2000م)، جون مينارد كينز، مجلد 3: القتال من أجل بريطانيا، 1937ـ1946م، ماكميلان.
30. المرجع نفسه.
31. كان الجنود الأفارقة يحملون المستلزمات ـ تمامًا كما كان الأمر في حقبة العبودية القديمة ـ وكانوا يدعون الفيلق الناقل. من هنا أخذ السوق الرئيس في دار السلام اسمه ـ كارياكو ـ الذي لايزال أصل اسمه بالكاد يعرف من قبل الجيل الحالي للشعب الإفريقي.
32. داني نابيوديري (1980م)، الإمبريالية والثورة في أوغندا، أونيكس برس، صفحة 87.

33. http://en.wikipedia.org/wiki/Lend_Lease

34. راجع أل.سي. جاردنر (1964م). النواحي الاقتصادية لدبلوماسية برنامج الصفقة الجديدة، ماديسون، 1964م، صفحة91ـ 272.

35. قليل من الناس يتذكرون بأن الخطة الأولية كانت خطة مورجنثاو التي دعمت إجراءات تدمير قدرة ألمانيا الصناعية على خوض الحرب، وإضعافها لتصبح بلدًا زراعيًّا. ليس من المغالاة القول إنَّه ـ تبعًا لما كتبه إيريك راينيرت، فإن ما يفعله الغرب في إفريقيا هو بمثابة تطبيق نسخة من خطة مورجينثاو وليس خطة مارشال، غير أن الفكرة هذه المرة لا تتعلق بمقدرة إفريقيا على خوض الحرب، ولكن لإضعافها لتظل منطقة زراعية لخدمة البلدان الصناعية في الغرب. في معرض مراجعته لكتاب بول كولبير: المليار السفلي: لماذا تفشل البلدان الفقيرة؟ وماذا يمكن عمله بهذا الشأن؟ كتب راينيرت: «عندما أراد الحلفاء معاقبة ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، فرضوا أشد الخطط قسوة؛ للإطاحة بتصنيع ألمانيا: خطة مورجينثاو، غير أن هذه الخطة كانت فاعلة في إنتاج الفقر، بحيث دامت سنتين فقط، فقُرضت خطة مارشال، وهي خطة لإعادة تصنيع ألمانيا.

لقد فقدت هذه الخطة مغزاها في نطاق اقتصاد التنمية تحت توجيه الليبرالية الجديدة... في هذا المنظور الأطول، فإن الإطاحة بالتصنيع الذي سببها علاج الصدمة الليبرالي الجديد ـ خطة مورجينثاو الحديثة ـ كان ينظر اليها بصورة متزايدة على أنها حماقة. إن تكليف بول كوليير؛ كبير الاقتصاديين السابق في البنك الدولي وأحد مهندسي هذه الحماقة، بتفسير أخطاء العولمة يشبه إلى حد كبير تكليف أتيلا الهوني بإدارة وزارة إعادة الإعمار الرومانية. ينطوي كتاب كولبير على محاولات التغطية على الماضي أكثر من تقديم رؤى بناءة جديدة، وعلى توصيفات لأعراض الفقر أكثر من شرح أسبابه». انظر إريك أس. راينر (2005م) الأهداف التنموية والاجتماعية: إحداث توازن بين المساعدات والتنمية لمنع استعمار الرفاه، ذي أذر كانون فاونديشن، النرويج وجامعة تالين للتكنولوجيا، أستونيا.

36. انظر جيفري ساكس (2009م)، كومون ويلث، بنجوين.

37. انظر أيضًا ريتشارد أن. جارنر (1956م). دبلوماسية الإسترليني والدولار، كاريندون برس.

38. من المألوف بالنسبة إلى الاقتصاديين القيام بمقارنة- على سبيل المثال- غانا بماليزيا. لقد أصبحت الأخيرة بلدًا ذا دخل متوسط، بينما بقيت غانا إلى حد ما في وضعها الذي كان في عام 1957م، غير أن الوضعين مختلفان كثيرًا؛ كُبِّلت إفريقيا بالتبعية الاستعمارية؛ مثل الأفضلية الاستعمارية والأنظمة النقدية، و كُبِّلت أيضًا بهياكل الحكم الإمبريالية، مقابل ذلك وإلى حد كبير بسبب نفوذ الثورة الصينية في عام 1949، تبنَّت بعض بلدان جنوب شرقي أسيا منهجًا أكثر راديكالية وثورية، واستطاعت بلدان أخرى-مثل كوريا الجنوبية وتايوان- استغلال خطر الشيوعية؛ لتحصل من الولايات المتحدة وأوروبا على امتيازات رئيسة في ميادين التجارة والاستثمار ونقل التكنولوجيا.

39. شارل أي. حاراحان (2001م). نزاع الموز بين الولايات المتحدة وأوروبا، خدمات البحث في الكونغرس، مكتبة الكونغرس، الولايات المتحدة. كذلك، هانز-بيتر ويرنر، لومي، منظمة التجارة العالمية، والموز في مجلة (ACP-EU) رقم 166، نوفمبر-ديسمبر 1997م؛ صفحة 59 - 60.

40. راجع الفصل الثاني لمعرفة إجراءات الصناديق الخضراء والزرقاء.

41. كان نابوديري يدرس مادة في كلية الحقوق في الجامعة، تتناول النواحي القانونية للتجارة الدولية، وتمكن من الإحاطة بهذا الموضوع بشيء من التفصيل. طلب مني مرافقته إلى اجتماع مع رامفال في فندق كيليمانجارو، من أجل المحاجة ضد توقيع اتفاقية لومي. أنصت رامفال إلينا على نحو مهذب، واتفق معنا من ناحية المبدأ، غير أنه قال إنه يتعيَّن عليه أن يكون عمليًّا. في تلك الأيام، لم تكن هناك منظمات غير حكومية كالتي نعهدها اليوم، ولهذا كنا نابوديري وأنا نطلق صفارتينا في البرية، كان من الممكن بسهولة تجاهل أصواتنا على أنها آراء أكاديمية.

42. داني نابوديري (1979م). اتفاقية لومي وأزمة الاستعمار الجديد: تقييم لاتفاقية لومي. 1-3 مقالات حول نظرية الإمبريالية وممارستها، أونيكس.

43. من الملفت للانتباه أن الاتفاقيات التجارية جميعها لحقبة ما بعد الاستعمار وُقِّعت في المستعمرات الفرنسية السابقة في إفريقيا-يواندي في الكاميرون، لومي في توغو، كوتونو في بينين. مقارنة بالدول العملاقة في إفريقيا- الكونغو، نيجيريا وجنوب إفريقيا- تُعد هذه دولًا هزيلة، لماذا اختيرت هذه البلدان الفرانكوفونية وليس الدول الكبيرة في إفريقيا

أمكنة لتوقيع اتفاقيات بهذه الأهمية للعلاقات الإفريقية–الأوروبية؟ هو سؤال أتركه للقراء للتكهن بشأنه.

44. للقراء الذين يتميزون بعقليات ذات توجهات أكبر من الناحيتين الفنية والقانونية، أقترح قراءة الوثائق العديدة التي نشرها مركز الجنوب من منظور جنوبي. إحدى هذه الوثائق اتفاقيات الشراكة الاقتصادية ومواءمتها مع منظمة التجارة العالمية: من منظور البلدان النامية، مذكرة غير رسمية، 2 أغسطس 2010م. يمكن الحصول على تغطية جيدة من الجانب الآخر (من منظور أوروبي) في بلال سانوسي (2007م). المفاوضات الختامية لاتفاقيات الشراكة الاقتصادية: قضايا قانونية ومؤسسية، أي.سي.دي.بي.أم.

45. مرة أخرى، لقد تغيرت الحقيقة منذ قرابة عام 2008م؛ نظرًا إلى الأزمة المالية والاقتصادية، والزوال الكبير لوهم الناخبين العاديين في معظم بلدان الاتحاد الأوروبي.

46. انظر www.businesseurope.eu.

47. راجع مفاوضات اتفاقيات الشراكة الاقتصادية: مراجعة قارية للبلدان الإفريقية (www.epa_negotiations_african_countries_64_uneca.org/publications/no continental_review). الأساليب الأوروبية القائمة على نظرية (فرِّق تسد)، تجعل من الصعب على المناطق الفرعية أو البلدان المنفردة مقاومة اتفاقية تشكل أرضًا للموت بالنسبة إلى إفريقيا، لقد استعرت تعبير أرض الموت من صن تزو؛ إستراتيجي الحرب الصيني القديم. لمعرفة مزيد من التفصيل عن صن تزو، انظر الفصل الأخير.

48. يشير تعبير معدلات التبادل التجاري إلى السعر النسبي للصادرات مقوَّمًا بالواردات. ببساطة، هو يعني مقدار الواردات من السلع التي يمكن للبلد أن يشتريها مقابل وحدة من السلع المصدرة، أي تدهور في المعدلات التجارية لأي بلد (كما هو الحال بالنسبة إلى البلدان الإفريقية) معناه أنه يستطيع شراء كميات أقل من الواردات، مقابل أي كمية معينة من الصادرات، وهذا التدهور يعني أن عمال البلد يتعيَّن عليهم العمل بجد أكبر؛ حتى يستطيعوا استيراد الكمية نفسها من الواردات.

49. من المهم أن نضيف هنا أنه في الوقت الذي كانت فيه هذه القضايا موضع اهتمامنا في إفريقيا الشرقية في عام 2010م، فإنها لاتزال قضايا مثيرة للجدل ولم تجرِ تسويتها؛ لاتزال المفوضية الأوروبية تصر على هذه المطالب؛ وأضافت إليها أيضًا التهديد بقطع ما

يدعى مساعدات التنمية إلى إفريقيا الشرقية، علاوة على أنَّها هددت كينيا بالقول إنه بوصفها بلدًا لا تنطبق عليه معايير البلدان الأقل نموًّا، فإنها ستخسر الأفضلية في السوق الأوروبية، الأمر الذي شجع كبار منتجي ومصدري الزهور العابرين للحدود الذين يعملون من كينيا لممارسة الضغوط على الحكومة لتوقيع الاتفاقية الإطارية للشراكة الاقتصادية. قال تيموثي كلارك؛ رئيس وفد الاتحاد الأوروبي في تانزانيا، إنَّ الاتحاد الأوروبي يمثل السوق الوحيدة والأكبر لإفريقيا الشرقية، وأن كينيا ستكون أكبر الخاسرين في حال انهيار المحادثات؛ لأنها لا تمتلك البديل لممارسة التجارة مع أوروبا في حال إغلاق نافذة الأفضلية. وبوصفها دولة غير عضو في مجموعة البلدان الأكثر مديونية، فإن انهيار المحادثات سيجبر كينيا على التجارة مع الاتحاد الأوروبي على أساس النظام العام للأفضليات الذي ينطوي على امتيازات أقل، وهذا يعني أن صادرات البلاد التي كانت تدخل السوق الأوروبية من دون تعرفات جمركية ستخضع لتعرفات تتراوح بين (5 ,8) و (7 ,15) بالمئة، وأضاف أن فقدان أفضليات التعرفة من خلال الانتقال إلى النظام العام للأفضليات، سيكلف كينيا استثمارات بقيمة (700) مليون دولار وآلاف الوظائف في قطاع البستنة؛ انظر بيزنس ديلي (نيروبي)، 9 يونيو 2010م. ليكن من الواضح أن كلارك كان ببساطة يقوم بواجبه؛ كان يستخدم التهديدات وأساليب التخويف للتأثير في موقف الحكومة الكينية بخصوص اتفاقية الشراكة الاقتصادية. وكما ذكرت في صدر هذا الفصل، فإن كينيا تخسر بالتوقيع على اتفاقية الشراكة الاقتصادية أكثر من الامتناع عن التوقيع عليها، أما لماذا مضت كينيا قدمًا في التوقيع على الاتفاقية، فهو سؤال تجب الإجابة عنه من قبل المؤرخين. في العلاقة بين الإمبراطورية ومستعمرة جديدة، يجري كثير من الأمور خلف الكواليس، ولا تبدو للعيان من أول نظرة.

50. مفوضية حقوق الإنسان الكينية (2010م). التأثير الممكن في حقوق الإنسان نتيجة لاتفاقيات إطار الشراكة الاقتصادية بين مجتمع إفريقيا الشرقية والاتحاد الأوروبي.

51. انظر (CTA) براسيلز نيوزلتر، 8 أبريل 2011م.www.cta.int

52. بيزنس ديلي التي ذكرت آنفًا، قالت في عددها يوم 9 يونيو 2010م، إن بيانات منظمتي المجتمع المدني في كل من تانزانيا وأوغندا التي وقعها معهد المعلومات والمفاوضات التجارية في جنوبي وشرقي إفريقيا (سيتيني)، وُزِّعت في مقر الاجتماع، وقد لاحظ كلا البيانين أن إفريقيا الشرقية لم تكن جاهزة لحرية التجارة مع أوروبا. «إنَّ الفرق الكبير

في حجم اقتصادياتنا الذي نشأ عبر التاريخ، لن يؤدي إلى تجارة يتم فيها تبادل المنافع، فذلك من شأنه تعزيز الهيمنة الأوروبية، وفي ضوء ذلك، نحن نحتاج إلى الاحتفاظ بحق استخدام التعرفات ووسائل التدخل الأخرى؛ من أجل تطوير صناعاتنا القائمة، وإنشاء أخرى في المستقبل». وحذَّر البيان من أن التجارة الحرة التي تنادي بها أوروبا لم تكن في الحقيقة حرة بتاتًا، ومن المؤكد أنها كانت غير عادلة؛ وقال «إن أوروبا تصرف سنويًّا مئات مليارات اليورو لدعم مزارعيها وليست راغبة في تغيير هذا الموقف، أو إجراء مفاوضات حوله؛ يؤدي هذا الدعم إلى إغراق أسواقنا بالمنتجات الرخيصة، ما يهدد معيشة مزارعينا، علاوة على أن ذلك يجعل من الصعب علينا المنافسة في أوروبا ضد الإنتاج المحلي المدعوم».

53. في الاجتماع الوزاري لمظمة التجارة العالمية في كنكون عام 2003م، كنت أشارك في وفد أوغندا الرسمي ممثلًا لمنظمة المجتمع المدني، والذي كان برئاسة الوزير إدوارد روجومايو؛ تبنى الاتحاد الإفريقي موقفًا جماعيًّا في مواجهة مواقف معينة للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، خاصة بخصوص الزراعة. انحاز روجومايو بطبيعة الحال إلى موقف الاتحاد الإفريقي، وبعد ساعات من افتتاح المؤتمر، تلقى الوزير رسالة بالفاكس من الرئيس موسيفيني تأمره بالنأي بنفسه عن موقف الاتحاد الإفريقي. علمنا لاحقًا من مصادر موثوقة بأن الرئيس تلقى مناشدة من الولايات المتحدة بألا يُتحدَّى موقف الاتحاد الإفريقي ـ الاتحاد الأوروبي في الاجتماع الوزاري. لم يكن موسيفيني شخصًا يسهل التأثير فيه؛ كان قادرًا على مقاومة الإمبراطورية إذا ما تعرضت مصالحه للخطر. في هذه المناسبة بالذات، من المؤكد أنه قرر أن الموقف ربما لم يكن يستحق تحدي الإمبراطورية.

54. الموعد النهائي لسحب تنظيم الدخول إلى السوق (مار 1528) وُضع قبل ثلاث سنوات. كان (مار 1528) ينطوي على ضمان دخول منتجات بلدان إفريقيا والكاريبي والباسيفيكي إلى السوق الأوروبية من دون جمارك وإعفاء من الكوتا.

55. ياش تاندون (1988م). وقف الاعتماد على المساعدات، مركز الجنوب. كذلك ياش تاندون (2012). تبديد الغموض الذي يكتنف المساعدات، بامبازوكا أنسايتس.

56. «إذا كانت الطبيعة قد جعلت من أي شيء أقل قابلية من جميع الأشياء الأخرى للملكية الحصرية، ذلك بسبب عمل قوة التفكير التي تدعى الفكرة التي قد يمتلكها الفرد بصورة

حصرية ما دام يحتفظ بها لنفسه؛ ولكن في اللحظة التي يُكشف عنها، فإنها تدفع بنفسها لتصبح ملكية كل فرد، ولا يستطيع المتلقي التخلص من ملكيتها، ومن خواصها الفريدة أيضًا، لا أحد يمتلك أقل منها؛ ذلك لأن أي فرد آخر يمتلكها بالكامل، إنَّ من يتلقى فكرة مني، يتلقى تعليمات بنفسه من دون أن ينقص ما أملك؛ كمثل من يضيء شمعته باتجاهي، يستطيع تلقي الضوء من دون أن يلفني بالعتمة». توماس جيفرسون، رسالة إلى إسحق ماكفيرسون، 13 أغسطس، 1813م. انظر /http://en.wikipedia.org wiki/Intellectual___property.

57. أعضاء أحزاب القراصنة الأوروبية هم في الأساس من الشباب؛ إنهم أطفال الثورة الرقمية، واهتماماتهم الرئيسة تتركز على البرمجيات المجانية، خاصة الموسيقى، وإصلاح نظام حقوق النشر وبراءات الاختراع. يبدو أنهم في الآونة الأخيرة حولوا اهتمامهم عن قضايا مثل البذور والجينات، وبالرغم من ذلك، فهم حلفاء محتملون لحرب الجنوب ضد أنظمة الملكية الفكرية العالمية.

58. قدَّم ابن الخطيب براهين تجريبية على أن الموت الأسود تفشى في أوروبا من خلال العدوى وليس نتيجة للعنة دينية، كما كان يعتقد الأوروبيون المعاصرون. من العلماء الآخرين الذين يأخذون بوجهة النظر هذه الرازي وابن الهيثم. في كتابه دراسة للتاريخ، كان المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي واحدًا من المؤرخين الأوروبيين المعروفين بالنزاهة الذين اعترفوا بأثر الإسلام في نقل العلوم والتنوير إلى أوروبا.

59. http://en.widipedia.org/wiki/International-Aassessment-of-Agricultural-Knowledge-Science-and-Technology-for-Development

60. www.who.int/WHO A/CEWG/3,2November 2012, phi/1-cewg-secretariat-paper-en.]df?ua=1

61. المعلومات من ملاحظاتي المبنية على مقابلة مع السفير الصيني في جنيف، 14 يناير 2009م. تبعًا لذلك، بينما الحكومة الصينية تقر أحكام المنظمة العالمية للملكية الفكرية ومنظمة التجارة العالمية الخاصة بالملكية الفكرية؛ ومن وقت لآخر تكبح جماح الشركات المحلية التي تخرق هذه القواعد، إلا أنها تغض الطرف عما يسميه الغرب قرصنة ملكيته الفكرية.

62. أصبح ذلك قضية رئيسة بين الولايات المتحدة وألمانيا في أوائل عام 2014م، عندما اكتشفت ألمانيا شبكة أمريكية للتجسس الصناعي.

63. هذا يشير إلى رواية جورج أورويل الديستوبية الشهيرة، 1984م، حيث الأخ الأكبر يراقب على الدوام تحركات المواطنين، وبالرغم من أن الإطار كان وطنيًّا، إلا أنه دخل الآن البعد العالمي.

64. يقول أحد التقارير إن تبني نماذج برمجيات ذات مصدر مفتوح أدى إلى توفير ما يقارب (60) مليار دولار سنويًّا لصالح المستهلكين. انظر ريتشارد روثويل (2008م). صنع الثروة من خلال البرمجيات، مجلة البرمجيات المفتوحة.

65. هذا يشير إلى حركة في إنجلترا بين عامي 1811 و 1817م، عندما حطَّم الحرفيون (الماكنات) من أجل استبدال العمال منخفضي الأجور والمهارات بها، ومنذ ذلك الوقت استخدم تعبير (Luddite) على نحو شعبي للتشهير بأي شخص يعارض الابتكارات التي تتحكم فيها الشركات العالمية.

66. غاندي: «يبقى البلد فقيرًا في ثروته، من الناحية المادية والفكرية، إذا لم يطور صناعاته اليدوية وصناعاته الأخرى، ويستمر في عيش حياة طفيلية كسولة، وذلك باستيراد حاجاته المصنعة جميعها من الخارج... نحن نعتمد على العالم الخارجي في الحصول على معظم السلع المصنعة... ولكن عندما يأتي الأمر إلى التعريف، فيجب توخي الحذر؛ لتجنب جعل هذا التعريف ضيقًا بحيث يكون التصنيع غير ممكن في الغالب، أو يكون التعريف واسعًا لدرجة أنه يثير السخرية، ويكون وطنيًّا بالاسم فقط». ينغ إنديا، 20 أغسطس 1931م.

67. النجانجا: تعبير تطلقه قبائل البانتو على العشابين أو المعالجين الروحانيين في العديد من المجتمعات الإفريقية وفي العديد من المجتمعات الإفريقية في المهجر، كتلك الموجودة في البرازيل.

68. هنالك كمية ضخمة من الدلائل الموثقة التي تدعم هذا. راجع- على سبيل المثال- جورج سوزان (1976م)، كيف يموت النصف الآخر: الأسباب الحقيقية للمجاعة في العالم، بنجوين، فاندانا شيفا (1992م)، عنف الثورة الخضراء: التدهور البيئي والصراع

السياسي في البنجاب، زيد برس؛ فاندانا شيفا (2000م)، الحصاد المسروق: اختطاف الإمدادات الغذائية، ساوث آند برس.

69. محتجون من جميع أنحاء العالم يتظاهرون ضد مونسانتو، يو.أس.إيه. تودي، 26 مايو 2013.

70. لمزيد من المعلومات حول حملة أنقذوا بذورنا، انظر:
www.saveourseeds.org/en.html

71. للاطلاع على نص الاتفاقية الكامل، انظر WT/MIN(01)/DEC/2، 20 نوفمبر 2001م، الإعلان حول اتفاقية تريبس والصحة العامة.

72. شركة نوفارتيز ضد الاتحاد الهندي، محكمة الهند العليا. راجع /en.wikipedia.org wiki/Novartis_v._Union_of_India_26%_Others. انظر أيضًا كارلوس كوريا، قرار المحكمة الهندية حول نوفارتيز نتيجة جيدة للصحة العامة، ساوث سنتر نيوز، 11 نوفمبر 2013م.

73. المثال الرئيس على ذلك هو معهد تطوير القدرات التابع لصندوق النقد الدولي في واشنطن دي سي DC، الذي يمتلك مراكز إقليمية عديدة. ينتج المعهد دراسات فنية وتحليلية حول مختلف نواحي التنمية، وجميعها تهدف إلى الترويج لإيديولوجية اقتصاد السوق المفتوح، تتغلغل هذه الإيديولوجية في العملية السائدة لتدريس الاقتصاد في الجامعات، ليس في الغرب فحسب، ولكن أيضًا في بلدان الجنوب.

74. لمزيد من التوضيح والبحث حول مفهوم الإمبريالية، راجع الفصل السادس.

75. حول مفهوم (الفصل)، راجع الفصل السادس.

76. أبلغني رامفال بهذا في عام 2001م، عندما التقيته صدفة في مؤتمر الدوحة لمنظمة التجارة العالمية، وأكد ذلك لاحقًا في مقابلة مع هيئة الإذاعة البريطانية، انظر مارتن بلوت، إفريقيا: توزيع الأرض في زامبيا الذي تدعمه الولايات المتحدة (BBC) نيوز، 22 أغسطس 2007م.

77. راجع ـ http://mg.co.za/article/2013_11_28_mbeki_blair_plotted_military_intervention_in_zim

78. في 17 أبريل 1961م، قام (1400) من الكوبيين في المنفى ـ تدعمهم الولايات المتحدة ـ بما أصبح يعرف بالغزو الفاشل لكوبا في خليج الخنازير. دُحِر الهجوم. بوصفها ردة فعل على هذا الغزو، طلبت كوبا من الاتحاد السوفييتي نصب صواريخ نووية في كوبا؛ للحيلولة دون وقوع مثل هذا الغزو مستقبلًا، استجاب الاتحاد السوفييتي لهذا الطلب، أدى ذلك إلى مواجهة مباشرة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في أوج الحرب الباردة، ما أفضى إلى طريق مسدود استمر ثلاثة عشر يومًا في أكتوبر 1962م، وخوفًا من وقوع حرب نووية، سحب الاتحاد السوفييتي صواريخه، فيما وافقت الولايات المتحدة على عدم غزو كوبا في المستقبل.

79. استخدمت مختلف المصادر لجمع معلومات عن العقوبات الأمريكية ضد كوبا، ووجدت تغطية ويكيبيديا للموضوع ثرية جدًّا في المعلومات. http://en.widipedia.org/wiki/United_States_embargo_against_Cuba.

80. جاري هارت، الخيال في السياسة الخارجية، هافينغتون بوست، 7 مارس 2011م.

81. فيما كان الكتاب في طريقه إلى المطبعة، أعلنت كوبا والولايات المتحدة عن تطبيع علاقاتهما الدبلوماسية، غير أنه في خطابه إلى القمة الثالثة لمجتمع دول أمريكا اللاتينية والكاريبية في 28 يناير 2015م، قال الرئيس راؤول كاسترو: «إن التطبيع غير ممكن ما لم تحترم الولايات المتحدة المساواة في السيادة والتعامل بالمثل في علاقاتهما، وتنهي الحصار والاحتلال غير المشروع لجوانتانامو». http://en.granma.cu/mundo/2015_01_29/president_raul_castro_speaks_to_third_celac_summit_in_costa_rica

82. هذه المعلومات جميعها تجمعت منذ أغسطس 2014م، قد تتغير الأشياء بمرور الوقت، وإن كان ذلك مستبعدًا في المستقبل المنظور.

83. راجع أليكساندر بريكسيندورف وكريستيان أولي، التغيرات تلفت النظر مجددًا إلى إعادة شراء العقود الإيرانية، أويل آند غاز جيرنال، 1 نوفمبر 2004م.

84. انظر بلاتفورم آي.بي.أس، الحرب على الحاجة، منبر السياسة العالمية، التغير النفطي، أن.أي.أف. (2005)، تصاميم نفطية: سرقة الثروة النفطية العراقية، بلاتفورم. (حمل المعلومات المتاحة من www.platformlondon.org)

85. انظر تيم كيلي، بول كروغمان والكينزية العسكرية، 30 أغسطس 2011م، http://fff.org/explore_freedom/articlse/paul_krugman_military_keynesianism

86. كتاب يغطي هذا الموضوع تأليف هانز جيه. مورجينثاو، السياسة بين الأمم: الكفاح من أجل السلطة والسلام، 1967م. من بين المؤلفين البارزين الآخرين آي.أتش. كار، هنري كيسينجر، جورج كينان، صامويل هنتنجتون.

87. نشأ فكر ما يسمى بمدرسة القصور الانمائي بين الباحثين في أمريكا اللاتينية في السبعينيات من القرن العشرين، وكان له تأثير في المثقفين في إفريقيا والكاريبي؛ مثل سمير أمين و وولتر رودني. بعد طفرة الاقتصاد الليبرالي الجديد، انحسرت هذه المدرسة، لكنها أخذت في النهوض مرة أخرى في السنوات الأخيرة.

88. أُسِّس التحالف العالمي من أجل إفريقيا قرابة عام 1993م، وهو من بنات أفكار رئيس البنك الدولي روبرت مكنمارا، كان هدفه «التأكد من أن إفريقيا تبقى في أولويات الأجندة الدولية، وتسهيل حصول تفهم أكبر للتحديات التي تواجه القارة، وتشجيع الاتفاق على الأعمال الضرورية التي يجب القيام بها من قبل الحكومات الإفريقية وشريكاتها العالمية». يركز جدول أعمال التحالف على أهداف عريضة، هي: أ) السلام والأمن. ب) الحاكمية والانتقال إلى الديموقراطية. جـ) التنمية المستدامة والانخراط في الاقتصاد العالمي. راجع http://web.worldbank.org/Website/External/Countries/Africaext/0لم يسمع الكثير بعد ذلك عن التحالف العالمي من أجل إفريقيا؛ كان مجرد ضرب من الخيال ابتكره الإمبرياليون الغربيون؛ مثل البنك الدولي على افتراض أنهم يستطيعون تنفيذ التنمية نيابة عن إفريقيا.

89. في عام 1933م، أنشأت الأمم المتحدة المفوضية العالمية للبيئة والتنمية، برئاسة جرو هارليم بروندتلاند، وهو رئيس وزراء سابق في النرويج، وهي تسمى أيضًا بمفوضية بروندتدلاند.

90. نشر ذلك لأول مرة في منتصف عام 1917م في بتروغراد على صورة كراس. انظر لينين (193)، مختارات من أعمال لينين، مجلد 1، بروغريس بيليشرز، الصفحات 667ـ766. ينبغي علي أن أضيف أن كتيب لينين لم يكن كله عملًا أصيلًا. قدم لينين العرفان، من بين آخرين، إلى جيه.أيه. هوبسون بفضل كتابه الإمبريالية، دراسة (1902م).

91. من أجل تطبيق هذا التحليل على الولايات المتحدة، انظر بير أندرسون، السياسة الخارجية الأمريكية ومفكروها، نيو ليفت ريفيو، سبتمبر/ أكتوبر، 2013م.

92. كوامي نيكروما (1966م)، الاستعمار الجديد: آخر مراحل الإمبريالية، إنترناشنال ببليشرز، صفحة 9.

93. راجع باتريك بوند، بريكس ونزعة الإمبريالية الفرعية، بامبازوكا نيوز 673، أبريل 2014م، مايكل أبوت، الإمبريالية الفرعية للولايات المتحدة والبرازيل في بوليفيا تحت حكم موراليز؛ واليف كاجلي، حول القوة الإقليمية لتركيا ذات الصبغة الاستعمارية الفرعية، 2009م.

94. لمزيد من التوضيح حول ذلك، راجع ما كتبته حول الإمبريالية الفرعية وهجوم دول بريكس، بامبازوكا نيوز، http://pambazuka.org/en/category/features/91832

95. بطبيعة الحال كانت هنالك إمبراطوريات في الماضي، غير أن تلك الإمبراطوريات ـ مثل الإمبراطوريات الصينية والأزتيكية والإغريقية والرومانية والعثمانية ـ كانت لها ميزاتها. نحن هنا نبحث في الإمبريالية في حقبتنا؛ الحقبة الرأسمالية.

96. عبدالشريف (2010م)، ثقافة الداو والمحيط الهندي: العالمية، التجارة والإسلام، أو.يو.بي.

97. راجع تيريزا تيرنر، صراع النفط والطبقات، زيد برس (مع بيتر مور).

98. انظر سورز دي أوليفيرا (2007م)، النفط والسياسة في خليج غينيا، هيرست.

99. راجع الفصل الثالث لمعرفة خلفية مجموعة بلدان إفريقيا والكاريبي والباسيفيكي واتفاقية كوتونو.

100. الصومال تنضم إلى اتفاقية كوتونو، صاباحي، 9 يونيو 2013م؛ ومحمد يشيد بعضوية الصومال في اتفاقية كوتونو، صاباحي، 10 يونيو 2013م.

101. شون هيلتون، قرون إفريقيا: الاستعمار الجديد، حروب النفط ولعب الإرهاب www.globalresearch.ca/the_horns_of_africa_neo_colonialism_oil_wars_and_terror_games/5355993.

102. www.rigzone.com/news/oil-gas/a/133442/Soma-Oil-Gas-Completes-Seismic-Acquisition-Program-Offshore-Somalia

103. http://finance.yahoo.com/news/hank-paulson-warns-another-financial-171148084.html

104. كلا فوكوياما وهنتينجتون يتبع التفكير الإيديولوجي السائد في الجغرافيا السياسية الغربية الذي يقوم أساسًا على نظريات المعرفة الأوروبية المحضة. تُختزل في حالة فوكوياما إلى احتفال سابق لأوانه بالانتصار الغربي في نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفييتي، وفي حالة هنتينجتون، يختصر الموضوع بالخوف من الحضارات المناهضة للغرب، خاصة الحضارة الإسلامية. انظر فرانسيس فوكوياما (1992م)، نهاية التاريخ وآخر إنسان، فري برس؛ وصامويل بي. هنتينجتون (1996م)، صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام الدولي، سيمون وشوستر.

105. من الطبيعي أن تُقارن الحضارة مع ما يفترض أنها ثقافات بربرية أو بدائية، كتلك التي تتبع تجمعات الصيادين والبدو الرعاة، إن كلمة بدائي تنطوي على تحقير العديد من الحضارات ـ مثل حضارة الكاراموجونغ في أوغندا التي نشأت فيها طفلًا ـ وهي في العديد من النواحي تُعد ذات ثقافة أعلى (من مفهوم الترابط الاجتماعي واستخدام الأساليب السلمية في حل النزاعات الداخلية) من حضاراتنا الصناعية الحديثة أو حضارات ما بعد الصناعة.

106. في الوقت الذي كانت تُكتب فيه هذه السطور، كان هناك استفتاء في أسكتلندا (19 سبتمبر 2014) حول ما إذا كانت أسكتلندا ستنفصل عن إنجلترا بوصفها أمة؛ صوَّتت غالبية واضحة ضد الاستقلال، غير أنه من غير المحتمل أن تضمحل الفكرة.

107. مفكرو عصر التنوير مثل إدوارد جيبون؛ مؤلف كتاب انحسار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، وحتى كتابات المؤرخ الإنجليزي آرنولد توينبي، انطوت على وجهة نظر

متوازنة جدًّا بشأن الإسلام. هؤلاء والعديد من المؤرخين الآخرين كتبوا ذلك بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في سنة 632 ميلادية، حيث انتشر الإسلام في المناطق المحيطة جميعها، وامتدت سيطرته من بلاد فارس حتى إسبانيا. من القرن السابع وحتى بداية الحروب الصليبية تقريبًا ـ قرابة خمس مئة سنة ـ شكل الإسلام ليس فقط قوة هائلة، ولكنه كان تقدميًّا من النواحي الثقافية والعلمية والفكرية؛ كان الخلفاء يشجعون التجار والباحثين على السفر خلال أوراسيا الغربية، حاملين البضائع والمعرفة إلى أوروبا؛ ففي عام 751م ـ على سبيل المثال ـ وجدت صناعة الورق طريقها من الصين إلى أوروبا عن طريق التجار المسلمين، كانت الدول التي حكمت مستقبلًا في المنطقة، مثل الصفويين والسلاجقة والعثمانيين والمغول في الهند، جميعها إسلامية.

108. استخدم الصليبيون النقود الذهبية البيزنطية التي كانت متداولة في المناطق التي احتلوها مع نقوش عربية.

109. للاطلاع على عرض شيق لهذا، راجع ستيفن زارلينغا (2002م)، علم النقود المفقود، الهيئة الخيرية للمعهد النقدي الأمريكي.

110. الدولة الإسلامية في العراق والشام نصبت نفسها دولة، وهي تسعى لإقامة سلطتها في منطقة الشرق الأدنى، بما في ذلك سوريا، والأردن، ولبنان، وإسرائيل، وفلسطين، وجنوب تركيا.

111. لماذا ينضمُّ الشباب الأوروبي إلى الدولة الإسلامية في العراق والشام؟ شارلوت فان هيك ـ 4 أكتوبر 2014م

http://euron.co.uk/why_young_europeans_join_isis/

112. انظر باتريك كوكبيرن (2014)، عودة المجاهدين، أور بوكس، صفحة 9.

113. انظر http://sustainablecrediton.org.uk/economics/reading/christine_lagarde.aspx. لأن لاجارد تتحدث من منظور مؤسسي، فإن انتقادي لم يكن شخصيًّا بل مؤسسيًّا.

114. http://www.nbcnews.com/storyline/military-spending-cuts/u-s-military-spending-dwarfs-rest-world-n37461>

115. «تضم القوى المنتجة العلوم والتكنولوجيا التي نمت تلقائيًّا بأرقام فلكية خلال المئة سنة الأخيرة، وتنظيم إنتاج السلع». طرح ماركس تعبير علاقات الإنتاج؛ لتمثيل البنية التحتية الاجتماعية للإنتاج، بما في ذلك العلاقات بين الناس، والإيديولوجيا والثقافة. وقال ماركس إنَّ تضافر القوى المنتجة وعلاقات الإنتاج هو الذي يشكل تاريخيًّا نمط إنتاج معين. أستخدم هذه التعبيرات؛ لأنها تمثل تصنيفًا تحليليًّا مفيدًا، لكنني لا أريد أن أدخل في نقاش حول هذا الموضوع.

116. http://www.oecd.org/social/soc/dividedWestandwhyinequalitykeeprising.htm

117. راجع السلسلة الممتازة التي أصدرها (في 2013–14) سنتر يوروب–تايرز موند (سيتيم) حول بعض القادة الأفارقة السابقين، ومن بينهم فرانتز فانون، أميلكار كابرال، مهدي بن بركة، باتريس لومومبا، توماس سينكارا، جوليوس نايريري.

118. اختزال هذه بالعلوم والتكنولوجيا وتنظيم إنتاج السلع المادية سيكون نوعًا من التبسيط، لكنه يضع اليد على جوهر المفهوم.

119. انظر أيضًا سمير أمين (2011)، وضع نهاية لأزمة الرأسمالية أو وضع نهاية للرأسمالية، بامبازوكا برس.

120. http://opinionator.blogs.nytimes.com/2014/03/15/on-the-wrong-side-of-globalization/?-php=true&-type=blogs&-php=true&-type=blogs&ref=josephestiglitz&-r=1

121. في عام 2009م، شكلت الأمم المتحدة لجنة برئاسة ستيجليتز لتحليل الأزمة الاقتصادية والمالية ووضع توصيات، انطوى تقرير اللجنة على تحليل جيد؛ فقد وضعت عشر توصيات جاءت مقاربة لاقتراحات كريستين لاجارد الإصلاحية التي ذكرت آنفًا، لكنها كانت أكثر تفصيلًا، وجاءت مدعمة بالأدلة وبخطة عمل محددة، غير أنه (بعد خمس سنوات) لم تكن أي من هذه التوصيات قد وجدت طريقها إلى التنفيذ، وهذا يوضح أن المجتمع الدولي ليس جاهزًا لتغيير البنية المالية العالمية في القمة؛ صندوق النقد الدولي والبنك الدولي غير قابلين للإصلاح في السياق الجيوسياسي الراهن، كان من نتيجة

ذلك ظهور جهود نشطة لتشكيل هياكل موازية، مثل مصرف التنمية الذي اقترحته مجموعة بريكس، والذي لا يزال في أيامه الأولى.

122. انظر أيضًا يلماز أكيوز، هل الدول النامية تموج أو تغرق؟ ساوث بوليتين رقم 76، 21 نوفمبر 2013م. يقول بعد عام 2009م، «بدأت بلدان نامية عدة بالتحكم في تدفقات رأس المال، عن طريق اتخاذ إجراءات صديقة للسوق بدلًا من القيود المباشرة، وتضم هذه الإجراءات متطلبات الاحتياطي غير المعوضة (يو.آر.آر.) والضرائب (الضرائب التي فرضتها البرازيل على تدفقات المحافظ الاستثمارية القادمة؛ وضرائب البيرو على المشتريات الخارجية لأوراق المصرف المركزي، وفرض كولومبيا متطلبات احتياطي غير معوضه بنسبة (40) بالمئة لمدة ستة أشهر)؛ وفرض حد أدنى لمُدد الإقامة أو الحيازة (ما فرضته كولومبيا على الاستثمار الأجنبي المباشر؛ ما فرضته إندونيسيا على أوراق المصرف المركزي)؛ وفرض متطلبات الاحتياطي الخاصة (آر. آر.) وضرائب على مراكز المصارف (البرازيل فرضت متطلبات احتياطي خاصة على المراكز قصيرة الأمد، وضرائب على المراكز قصيرة الأمد المتعلقة بمشتقات العملات؛ إندونيسيا فرضت متطلبات احتياطي خاصة على إجمالي الموجودات الأجنبية؛ فرضت البيرو متطلبات احتياطي أعلى، على الأرصدة غير المقيمة بالعملة المحلية)؛ وفُرِضت ضرائب وقيود على الاقتراض من الخارج (الهند فرضت مثل ذلك على اقتراض الشركات؛ إندونيسيا على اقتراض المصارف؛ البيرو فرضت متطلبات رأسمالية إضافية على انكشاف الائتمان الخاص بتجارة العملات)؛ وفرضت أيضًا ضرائب على الأرباح الأجنبية المتأتية من الموجودات المالية (تايلاند علَّقت الضرائب على إيرادات الفوائد وعلى أرباح السندات المحلية). حرَّرت بعض الدول النامية مثل جنوب إفريقيا التدفقات إلى الخارج من قبل المقيمين؛ بهدف تخفيف الضغط باتجاه رفع سعر تبادل العملة».

123. يوجد ابتكار آخر للفصل في القطاع المالي هو البيتكوين؛ وهو عملة تشفيرية تستخدم تكنولوجيا النظير للنظير للتداول من دون سلطة مركزية أو مصرف. لا أحد يمتلك أو يتحكم في البيتكوين. انظر http://bitcoin.org.en

124. كارل مانهايم (1954م)، الإيديولوجيا والمدينة الفاضلة: مدخل إلى علم اجتماع المعرفة، هاركورت بريس.

125. نسيم طالب، 2007م، البجعة السوداء: تأثير الأمر البعيد الاحتمال، بنجوين بوكس.

126. داني نابيوديري (2011م)، نظرية المعرفة الإفريقية: فلسفة وكمال، نظرية في المعرفة، و(2012م) نظرية المعرفة الإفريقية غير المنهجية: القدرة على استعادة نظرية المعرفة، نشرت من قبل المعهد الإفريقي في جنوب إفريقيا، ضمن سلسلة التنمية من خلال المعرفة.

127. راجع ياش تاندون، مزالق التدخلات لأسباب إنسانية ـ المسؤولية في الحماية (آر.2بي.): منظور من إفريقيا، قدمت الورقة إلى المؤتمر الدولي في جامعة دوشيشا حول المنظورات الآسيوية بخصوص التدخلات لأسباب إنسانية في القرن الحادي والعشرين، كيوتو، 28ـ29 يونيو 2011م. http://global_studies_doshisha_ac.jp/attach/page/GLOBAL_STUDIES_PAGE_JA_24/24946/file/asia_program.pdf

128. صن تزو (1991م)، فنون الحرب، ترجمة توماس كليري، شمبالا بوكيت كلاسيك.

129. المرجع نفسه.

قراءات إضافية

min, Samir (2011), Ending the Crisis of Capitalism or Ending Capitalism?, Pambazuka Press

Chomsky, Noam (1993), Year 501—The Conquest Continues, New York, Black Rose Books.

Fanon, Frantz (1952), Black Skin, White Masks (1967) translation by Charles

Lam Markmann, New York: Grove Press

Gardner, R.N. (1956) Sterling-Dollar Diplomacy, New York: Clarendon Press.

Gibbon, Edward (1909–1914) The Decline and Fall of the Roman Empire, 6 Volumes, Kindle edition, 2014

Hudec, Robert E. (1999), Essays on the Nature of International Trade Law, Cameron.

Hudson, Michael (1992), Trade, Development and Foreign Trade, in two volumes, London: Pluto Press

Huntington, S. (1996), The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order, Simon and Schuster

Lenin, V.I. (1916) Imperialism, the Highest Stage of Capitalism, Lenin Internet Archive 2005.

Morgenthau, Hans J. (1967), Politics Among Nations: The Struggle for Power and Peace, New York, Knopf

Nabudere, Dani W. (2011) Afrikology: Philosophy and Wholeness: An Epistemology, African Institute of South Africa

Nkrumah, Kwame. (1966), Neo-Colonialism: The Last Stage of Imperialism, International Publishers

Reinert, Erik S. (2007) How Rich Countries Got Rich . . . and Why Poor Countries Stay Poor, London: Constable.

Shiva, Vandana, (2000), Stolen Harvest: The Hijacking of the Global Food Supply, South End Press.

186 TRADE IS WAR

Skidelsky, Robert (2000). John Maynard Keynes, Vol. 3: Fighting for Britain, 1937–1946, McMillan.

Soros, George (2004), The Bubble of American Supremacy—Correcting the

Misuse of American Power, London: Weidenfeld & Nicolson

Sumner, Andy and Meera Tiwari (2009). After 2015: International Development

Policy at a Crossroads, Palgrave.

Susan, George (1976), How the Other Half Dies: The Real Reasons for World Hunger, Penguin

Taleb, Nassim (2007), The Black Swan: the Impact of the

Highly Improbable, Penguin Books

Tandon, Yash (2001). 'My Attempt to Enter the Boiler Room at Doha Ministerial,' SEATINI Bulletin, 30 November 2001

Tandon, Yash (2008). Ending Aid Dependence, Geneva: South Centre and UK: Fahamu Books

Tandon, Yash (2012). Demystifying Aid, Pambazuka Insights. Fahamu Books

Toynbee, Arnold, (1934–1961), A Study of History, Oxford University Press, 12 volumes

Tzu, Sun (1991), The Art of War, translated by Thomas Cleary, Shambala

Pocket Classic.

Ziegler, Jean, 2011. The Fight for the Right to Food: Lessons Learnt, Palgrave

قائمة المصطلحات

إجماع واشنطن: يطلق التعبير على مجموعة توصيات خاصة بالسياسة الاقتصادية مرتبطة بالسوق، ويجري تبنيها من قبل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والبلدان الغربية.

الإمبراطورية: اسم يطلقه المؤلف على مجموعة الدول الكبرى خاصة تلك التي مارست الاستعمار على بلدان العالم الثالث.

الأنكتاد: الجهاز الرئيس للجمعية العامة للأمم المتحدة الذي يتعامل مع قضايا التجارة والاستثمار والتنمية.

إيبا: اتفاقية الشراكة الاقتصادية بين الاتحاد الأوروبي والبلدان الإفريقية.

إيه.بي.سي.: اسم يطلق على مجموعة بلدان إفريقيا، والكاريبي والباسيفيكي.

بريكس: اسم يطلق على مجموعة بلدان البرازيل، روسيا، الهند، الصين، جنوب إفريقيا.

تريبس: الاتفاقية الخاصة بالنواحي التجارية للملكية الفكرية.

تسليع المعرفة: تحويل المعرفة إلى سلعة تجارية.

تشيمورينغا: اسم يطلق على الحرب التي خاضها شعب زيمبابوي ضد المستعمر البريطاني.

تكنولوجيا إدامة الخضرة: تعبير يشير إلى مجموعة من الإستراتيجيات القانونية والتجارية، يلجأ إليها الحاصلون على براءات اختراع لمنتوجات تقرب من نهاية صلاحيتها، خاصة في ميدان صناعة الأدوية، تمكنهم من الاستمرار في الحصول على عوائد منها، عن طريق إدخال تعديلات طفيفة على المنتج في كل مرة.

سيتيني: معهد جنوب وشرق إفريقيا للمعلومات والمفاوضات.

الصفقة الجديدة: مجموعة من البرامج الداخلية التي جرى تبنيها في الولايات المتحدة بين عامي 1933 و 1938م في عهد إدارة الرئيس فرانكلين روزفيلت.

الفصل: النأي بالأمة واقتصادها عن الوقوع في دائرة سيطرة نظام العولمة ومساعدات التنمية.

الليبرالية الجديدة: مقاربة للنظرية الاقتصادية والدراسات الاجتماعية، تقول بأن تعظيم الحرية الشخصية يتأتى من تحديد التدخل الحكومي في عمليات السوق الحرة، وإناطة الموضوع كله بالقطاع الخاص.

المجتمع الإفريقي الشرقي: تكتل يضم كينيا، وأوغندا، وتانزانيا، ورواندا، وبوروندي.

مساعدات تحويل الملكية: تعبير أطلق على قانون أجازه الكونغرس الأمريكي في عام 1941م، زوَّدت الولايات المتحدة بموجبه حلفاءها في الحرب العالمية الثانية بمعدات عسكرية وخدمات، على أن يجري سداداها عينيًّا بعد انتهاء الحرب.

المعاملة التفضيلية: المعاملة الخاصة التي تمنحها دولة لدولة أخرى في المجال التجاري، مقارنة بالدول الأخرى.

معدلات التبادل التجاري: السعر النسبي للصادرات مقوَّمًا بالواردات.

النجانجا: تعبير تطلقه قبائل البانتو على العشابين والمعالجين الروحانيين في العديد من المجتمعات الإفريقية.

نظام دولي من دون رأس: كناية عن غياب هيكل حاكمية عالمية مركزية.